

أزواجه  
الطاهرات أمهات المؤمنين

رضي الله تعالى عنهنَّ

من كتاب سمط النجوم العوالي

للعلامة

عبد الملك بن حسين العصامي المكي

دراسة وتحقيق

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة





## أزواجه ﷺ

لا خلاف بين أهل السير والعلم بالأثر أن أزواجه عليه الصلاة والسلام اللاتي دخل بهن إحدى عشرة امرأة :

ست من قريش .

وأربع عربيات .

وواحدة من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران ، وهي صفية بنت حبي ابن أخطب . وكونهن أمهات المؤمنين إنما هو في تحريم نكاحهن ، ووجوب احترامهن ، لا في جواز النظر إليهن والخلوة بهن .

لا يقال بناتهن أخوات المؤمنين ، ولا آباؤهن ولا أمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ، ولا إخوتهم وأخوانهم أخوال وخالات المؤمنين .

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : هن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء ، روى ذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت في قضية : أنا أم رجالكم لا أم نسايتكم<sup>(٢)</sup> ، وهو جارٍ على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول أن النساء لا يدخلن في خطاب الرجال .

وقال : وكان ﷺ أباً للرجال والنساء ، ويجوز أن يقال : أبو المؤمنين في الحرمة ، وفضلت زوجاته عليه الصلاة والسلام على النساء ، وثوابهن وعقابهن مضاعف ، ولا يحل سؤالهن إلا من وراء الحجاب ، وأفضلهن خديجة وعائشة ، ويأتي تحقيق ذلك قريباً .

ولتذكرهن على ترتيب تزواجهن عليه الصلاة والسلام :

(١) تفسير البيهقي [٣١٩/٦] .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٤/٨] ، والبيهقي في السنن الكبرى [١٣٤٢٢/٧] .

وعزاء السيوطي في الدر المنثور [٥٦٧/٦] لابن المنذر وابن سعد والبيهقي في السنن .

- فأولهنَّ : خديجةُ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : سودةُ بنتُ زَمْعَةَ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصُّدِيقِ رضي الله تعالى عنهما .  
 ثمَّ : حفصةُ بنتُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله تعالى عنهما .  
 ثمَّ : زينبُ بنتُ حُزَيْمَةَ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : أمُّ سَلَمَةَ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : زينبُ بنتُ جحشٍ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : جويريةُ بنتُ الحارثِ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : أمُّ حبيبةَ رَمْلَةَ بنتُ أبي سفيانَ بن حربٍ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : صفيةُ بنتُ حُجَيِّ ، رضي الله تعالى عنها .  
 ثمَّ : ميمونةُ بنتُ الحارثِ العامريةُ ، رضي الله تعالى عنها <sup>(١)</sup> .

(١) قال الزهري : تزوج نبي الله ﷺ اثنتي عشرةً عرييةً محصناتٍ .  
 وعن قتادة قال : تزوج خمس عشرة امرأة : ميثا من قريش ، وواحدة من خلفاء قريش ،  
 وسبعة من نساء العرب ، وواحدة من بني إسرائيل .  
 قال أبو عبيد : ثبت أن رسول الله ﷺ تزوج ثمانين عشرة امرأة : سبعة من قريش ،  
 وواحدة من خلفائهم ، ونسعا من سائر العرب ، وواحدة من نساء بني إسرائيل .  
 فأولهنَّ : خديجةُ ، ثمَّ سودةُ ، ثمَّ عائشةُ ، ثمَّ أمُّ سلمةُ ، ثمَّ حفصةُ ، ثمَّ زينبُ بنتُ  
 جحشٍ ، ثمَّ جويريةُ ، ثمَّ أمُّ حبيبةُ ، ثمَّ صفيةُ ، ثمَّ ميمونةُ ، ثمَّ فاطمةُ بنتُ شريحٍ ، ثمَّ  
 تزوج زينب بنت حُزَيْمَةَ ، ثمَّ هند بنت بزي ، ثمَّ أسماء بنت النعمان ، ثمَّ فتيلةُ أخت  
 الأشعث ، صفا بنت السُّلَمِيَّةِ .

## أم المؤمنين خديجة

رضي الله تعالى عنها

« صاحبة بيت في الجنة لا صحب فيه ولا نصب »

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، كانت تُدعى في الجاهلية « الطاهرة » ، وكانت قد ذكرت وهي بكر لورقة بن نوفل فلم يقض بينهما نكاح<sup>(١)</sup> .

وفي السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين<sup>(٢)</sup> قال ابن شهاب : تزوجت خديجة قبله عليه الصلاة والسلام رجلين :

الأول منهما : عتيق بن عائد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فولدت له جارية اسمها هند فأسلمت وتزوجت .

وفي سيرة مغلطاي : ولدت له عبد الله وقيل : عبد مناف .

(١) قال الذهبي : سيدة نساء العالمين في زمانها . أم القاسم ، ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ، القرشية الأسدية . أم أولاد رسول الله ﷺ ، وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد ، وثبتت جأشه ، ومضت به إلى ابن عمها ورقة . ومناقبها جمة . وهي ممن كمل من النساء . كانت عاقلةً جليلةً دينةً مفضونةً كريمةً ، من أهل الجنة ، وكان النبي ﷺ يُثني عليها ، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ، ويبالغ في تعظيمها ، بحيث إن عائشة كانت تقول ما غرث من امرأة ما غرث من خديجة ، من كثرة ذكر النبي ﷺ لها . ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها ، وجاءه منها عدة أولاد ، ولم يتزوج عليها قط ، ولا تُسرى إلى أن قضت لحبها ، فوجد لفقدها ، فإنها كانت نعم القرين . وكانت تُنفق عليه من مالها ، ويتجر هو ﷺ لها . وقد أمره الله أن يُبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صحب فيه ولا نصب .

سير أعلام النبلاء [١٠٩/٢] : [١١٠] .

(٢) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ٣٠ ] .

ثم خلف عليها بعده : أبو هالة النباش بن زرارة التميمي أخو حاجب بن زرارة ويقال له هند ، فولدت له رجلاً يقال له : هند ، وامرأة يقال لها : هالة ويكنى بها .

وفي رواية : المتزوج لها أولاً أبو هالة ، ثم بعده عتيق ، ولم يذكر ابن قتيبة غير الأول ، فأما هند بن أبي هالة المسمى هنذا أيضاً فهو ربيب النبي ﷺ ، عاش مسلماً إلى أن قُتل مع علي بن يوم الجمل ، وقيل : بالبصرة في الطاعون ، فزادهم الناس على جنازته وتركوا جنازتهم وقالوا : ربيب رسول الله ﷺ . وكان فصيحاً بليغاً وصادقاً ، وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن . قلت : وعلى نعتة غالب أحاديث الكتاب المسمى بالشمانل وروايته ، وكان يقول : أنا أكرم الناس أمًا وأبًا وأخًا وأختًا ، أبي رسول الله ﷺ ، وأمي خديجة ، وأخي القاسم بن محمد ، وأختي فاطمة بنت محمد ﷺ رضي الله تعالى عنهم .

وأما الجاريتان وهما : هند التي من عتيق ، وهالة التي من النباش بن زرارة ؛ فقال ابن قتيبة وأبو سعيد وأبو عمرو : لم نظفر من أخبارهما بشيء .

روي أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسًا وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب : أنا رجل مُعيل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان ، وهذه عمير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعت رجلاً من قومك في تجارتها ، فلو ذهبت إليها وقلت لها في ذلك لعلها تقبل ، وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إلى النبي ﷺ في ذلك ، وقالت : أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك . وفي رواية : أتى إليها أبو طالب فقال لها : هل لك أن تستأجري محمدًا ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت بيكرين ولسنا نرضي لمحمدٍ دون أربع بكرات .

فألت خديجة : لو سألت ذلك لبعيد بغض فعلنا ، فكيف وقد سألت لحبيب قريب .

فقال أبو طالب للنبي ﷺ : هذا رزق ساقه الله إليك .

فخرج عليه الصلاة والسلام مع غلامها ميسرة ، ووقعت له القصة مع نسطور الراهب ، إلى آخر ما هو مذكور في محله من كتب السير المفردة لذلك .

ولما رجع عليه الصلاة والسلام بالتجارة من الشام وربحت التجارة الدرهم أربعة دراهم ، قالت نفيسة بنت منبه :

أرسلتني خديجة دسيساً إلى محمد ﷺ ،

فقلتُ : يا محمد ، ما يمنعك أن تتزوج ؟

فقال : ما بيدي ما أتزوج به .

قلت : فإن كُفيت ذلك ودُعيت إلى المال ، والجمال ، والشرف ،

والكفاءة

ألا تجيب ؟

قال عليه الصلاة والسلام : فمن هي ؟

قلت : خديجة .

قال : وكيف لي بذلك ؟

قلت : عني ، فأنا أفعل .

فذهبتُ إلى خديجة فأخبرتها ، فأرسلت إلى النبي ﷺ أن انت ساعة كذا وكذا . وصنعت طعاماً وشرباً ودعت أباهما - والصحيح أنه عمها - وهو عمرو أخو خويلد ، والعرب تسمي العمّ والداً فإن أباهما خويلد مات قبل حرب الفجار ، وحرب الفجار كانت وسنه عليه الصلاة والسلام عشرون عاماً<sup>(١)</sup> كما تقدم ذكره ، ونفراً من قريش فطعموا وشربوا ، فقالت خديجة :

(١) قال ابن سعد : كان سبب حرب الفجار أن النعمان بن المنذر بعث بلطيمة له إلى سوق عكاظ للتجارة ، وأجارها له الرحال عروة بن غنبة بن جابر بن كلاب ، فنزلوا على ماء يقال له أواره ، فوثب البيهقي بن قيس أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان خليعاً ، على عروة فقتله وهرب إلى خيبر فاستخفى بها ، ولقي بشر بن أبي حازم الأسدي الشاعر فأخبره الخبر وأمره أن يُعلم ذلك عبد الله بن جدعان ، وهشام بن المغيرة ، وحرب بن أمية ، ونوفل بن معاوية الذبلي ، وبلعاء بن قيس ، فوافي عكاظاً فأخبرهم فخرجوا موائيل منكشفين إلى الحرم ، وبلغ قيساً الخبر آخر ذلك اليوم ، فقال أبو براء :

إن محمد بن عبد الله يخطبني ، فزوجها منه عليه الصلاة والسلام ، فخلقتة  
والبسته حلة ، وكذلك كانوا يصنعون إذا زوجوا نساءهم<sup>(١)</sup> ، والضمير في  
خلقتة ورديفه إلى عمها المزوج لها عمرو بن خويلد المذكور لا إليه عليه  
الصلاة والسلام .

ما كنا من قريش إلا في خدعة ، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ،  
فناداهم رجل من بني عامر يقال له الأدرم بن شبيب بأعلى صوته : إن ميعاد ما بيننا  
وبينكم هذه الليالي من قابل ، وإنا لا نأثلي في جمع ، وقال :

لَقَدْ وَعَدْنَا قُرَيْشًا وَهَيَّ كِتَابَهُ  
بِأَنْ تَجِيءَ إِلَى ضَرْبِ زَعَابِلِ

قال : ولم تقم تلك السنة سوق عكاظ ، قال : فمكثت فريش وغيرها من كنانة وأسد ابن  
خزيمة ومن لحق بهم من الأحابيش ، وهم : الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وغضل ،  
والقارة ، وديش ، والمصطلق من خزاعة لحلفهم بالحارث بن عبد مناة ، سنة يتأهبون  
لهذه الحرب ، وتأهبت قيس عيلان ، ثم حضروا من قابل ورؤساء قريش عبد الله بن  
جُدعان ، وهشام بن المغيرة ، وحرب بن أمية ، وأبو أحيحة سعيد بن العاص ، وعتبة بن  
ربيعة ، والعاص بن وائل ، ومعمر بن حبيب الجمحي ، وعكرمة بن عامر بن هاشم بن  
عبد مناف ابن عبد الدار ، وخرجوا متساندين ، ويقال : أمرهم إلى عبد الله بن جدعان ،  
وكان في قيس : أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ، وشيبع بن ربيعة بن معاوية النصري ،  
ودريد ابن الصفة ، ومسعود بن معتب الثقفي ، وأبو عمرو بن مسعود ، وعوف بن أبي  
حارثة المري ، وعباس بن رطل السلمى ، فهؤلاء الرؤساء والقادة ، ويقال : بل كان  
أمرهم جميعاً إلى أبي براء ، وكانت الزاية بيده وهو سوى صفوفهم ، فالتقوا فكانت الدبرة  
أول النهار لقيس على فريش وكنانة ومن سوى إليهم ، ثم صارت الدبرة آخر النهار  
لفريش وكنانة على قيس فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، حتى نادى عتبة بن ربيعة يومئذ ، وإِنَّه لَشَاب  
مَا كَمَلَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، إِلَى الصَّلْحِ ، فاصطلحوا على أن عذوا القتلى ووذت فريش  
لقيس ما قتلت فضلاً عن قتلاهم ، ووضعت الحرب أوزارها ، فانصرفت فريش ، وقيس .  
قال رسول الله ﷺ ، وذكر الصغار ، فقال : « قَدْ خَضِرْتُمْ مَعَ غَمَوْتِي وَزَمَيْتُمْ فِيهِ بِأَسْهُمِ  
وَمَا أَحْبَبُّ إِلَيَّ لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ » فكان يوم حضر ابن عشرين سنة ، وكان الفجار بعد الغيل  
بعشرين سنة . قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : فحدثني الضحاك بن عثمان عن عبد  
الله بن عمرو عن حكيم بن حزام قال : رأيت رسول الله ﷺ ، بالفجار وقد حضره ، قال  
محمد بن عمر : وقالت العرب في الفجار أشعاراً كثيرة .

الطبقات الكبرى لابن سعد [١٢٦/١-١٢٨] .

(١) رواد ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٣١/١، ١٣٢] بنحوه ، وانظر : السيرة النبوية

[٢٤٢-٢٤٤/١] ، والسيرة الحلبية [٢٢٤/١] .

قال في السمط الثمين للمحب الطبري<sup>(١)</sup> : وحضر أبو طالب ورؤساء مضر ، فخطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، ورزق إسماعيل ، وضئضئ<sup>(٢)</sup> معذ ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن أخي هذا : محمد بن عبد الله من لا يوزن به رجل إلا رجح به ، فإن كان في المال قلاً ، فإن المال ظل مائل وأمر حائل ، ومحمد قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم . فلما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال :

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عدت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم . وقد رغبنا في الاتصال بحبيلكم وشرفكم ، فاشهدوا عليّ معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار .

ثم سكت ورقة ، فقال أبو طالب : قد أحببت أن يشركك عمها ، فقال عمها عمرو بن خويلد : اشهدوا عليّ يا معشر قريش أنني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد على ذلك صناديد قريش .

وفي السمط الثمين<sup>(٣)</sup> : أصدقها عشرين بكرة . وفي المواهب عن الدولابي : أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهباً ونشاً . قالوا : وكل أوقية أربعون درهماً ، والنش نصف أوقية .

ولا منافاة بين هذا وبين من قال أصدقها أبو طالب لقوله في الخطبة من مالي كذا لجواز كون أبي طالب أصدقها ، وزاد عليه الصلاة والسلام في صداقها ، فكان الكل صداقاً . وذكر الملا في سيرته : لما تزوج عليه الصلاة

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ٣٥ ] .

(٢) الضئضئ : الأصل والمعدن . لسان العرب [ ١ / ١١٠ ] .

(٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ٣٦ ] .

والسلام خديجة ذهب ليخرج ، فقالت له خديجة : إلى أين يا محمد ؟  
أذهب فاتحر جزوراً أو جزورين وأطعم الناس ، ففعل ذلك رسول الله ﷺ ،  
وهي أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ (١) .

وفي رواية : أمرت خديجة جواربها أن يرقصن ويضربن الدفوف ،  
وقالت : يا محمد ، مر عمك أبا طالب أن ينحر بكراً من بكارك ، وأطعم  
الناس على الباب ، وهل ؟ فقبل مع أهلك . فأطعم الناس ودخل فقال مع  
أهله خديجة ، فأقر الله عينه . وفرح أبو طالب بذلك فرحاً شديداً وقال :  
الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ، ودفع عنا الهموم .

وأم خديجة فاطمة بنت زائدة بن الأصم . تزوج ﷺ خديجة ولها من  
العمر أربعون سنة وبعض أخرى ، وله خمس وعشرون سنة ، وقيل : إحدى  
وعشرون سنة ، والأول عليه الأكثرون (٢) .

(١) المصدر السابق [ ص : ٣٨ ] .

(٢) عن الحكمة من زواج النبي ﷺ بخديجة رضي الله تعالى عنها قال الشيخ الشعراوي :  
لقد اختار الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن يتزوج خديجة رضي الله تعالى عنها وهو في  
سن الخامسة والعشرين وهي في سن الأربعين مع أن المألوف أن الإنسان يحب أن يتزوج  
بمن هي أصغر منه .

ولكن هدف الزواج لم يكن مجرد متعة . . فلم يكن زواجا عادياً ، بل كان زواجا أعده  
الله ، ليكون سكينه لرسوله عليه الصلاة والسلام في الفترة الانتقالية التي سبغ بها من  
بشرية عادية إلى بشرية تتلقى الوحي من الله . . هذا التفسير الهائل كان رسول الله ﷺ  
محتاجاً فيه إلى قلب ووعي ممن تعالج الموقف بحكمة السنوات والنضوج العقلي الذي  
كان لازماً خلال هذه المرحلة .

ولو كانت خديجة فتاة صغيرة طائشة ، لهربت من أول يوم عاد فيه رسول الله ﷺ من الغار  
وهو يرتجف ، أو اتهمته اتهامات شتى . ذلك أن عقلها لم يكن في هذه الحالة يمكن أن  
يستوعب تلك التجربة الهائلة التي يمر بها أشرف خلق الله من البشرية العادية إلى البشرية  
التي تختلط بالملائكة ، وتتلقى عن الله بواسطة الملك .

ولذلك عندما قال لها رسول الله ﷺ بعد أن رأى جبريل في الغار : إني أخاف أن يكون  
الذي يأتيني رثياً من الجن .

قالت : إنك لتصل الرحم وتكسب المعدم وتعين على ثواب الحق ، والله لا يخزيك الله  
أبداً .

كانت مدة إقامتها معه عليه الصلاة والسلام أربعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام ، خمس عشرة سنة منها قبل الوحي والباقيات بعده ، إلى أن توفيت وهي ابنة خمس وستين سنة ، ولم يكن يوماً يصلى على الجنائز . ولا خلاف في أنها أول امرأة تزوج بها عليه الصلاة والسلام ، ولم يتزوج قبلها ولا عليها .

وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودفنت بالحجون ، وولدت له عليه الصلاة والسلام أولاده كلهم ، ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، وسيأتي ذكرها آخر الباب . قال حكيم بن جزام بن خويلد : توفيت عمتي خديجة بنت خويلد ، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ، ونزل ﷺ في قبرها .

وفي المواهب اللدنية<sup>(١)</sup> : وكانت خديجة أول من آمن من الناس .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه « أن جبريل قال للنبي ﷺ : إن خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب »<sup>(٢)</sup> . والمراد بالقصب اللؤلؤ المجوف .

- وكان لا بدّ لكي نقول خديجة هذا الكلام وتكون صدرأ حنوناً لرسول الله ﷺ ، أن تكون ناضجة العقل والفكر قد صقلتها السنون ، تملك العقل الواعي الذي يستطيع أن يميز وأن يختار ، لا يكون فيها طيش شباب ولا رعونة فتاة صغيرة فد تهزها الأحداث ، فتجعلها تنهار تماماً في هذه الفترة الحرجة من حياة رسول الله ﷺ .

السيرة النبوية للشعراوي [١/١٠١] .

(١) المواهب اللدنية [١/٤٠٣] .

(٢) أخرجه البخاري [٣٨٢٠] ، ومسلم [٢/٤٣٢] / ٧١ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وقال النووي : هذا الحديث من مراسيل الصحابة ، وهو حجة عند الجمهور ، كما سبق ، وخالف فيه الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني : لأنّ أبا هريرة لم يذكر أيام خديجة ، فهو محمول على أنه سمعه من النبي ﷺ ، أو من صحابيه ، ولم يذكر أبو هريرة هنا سماعه من النبي ﷺ ، وقوله أولاً : « قد أتتك » معناه : توجهت إليك ، وقوله : « فإذا هي أتتك » أي وصلتك ، فاقرأ عليها السلام ، أي سلم عليها ، وهذه فضائل ظاهرة لخديجة رضي الله تعالى عنها ، وقوله : « بيت من قصب » قال جمهور العلماء : المراد =

به نصب اللؤلؤ المجوف ، كالقصر المنيق ، وقيل : نصب من ذهب منظوم بالجوهر ، قال أهل اللغة : القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف ، قالوا : ويقال لكل مجوف : قصب ، وقد جاء في الحديث مفسراً بيت من لؤلؤة محببة ، وفسروه بمجوفة ، قال الخطابي وغيره : المراد بالبيت هنا القصر ، وأما « الضَّحْبُ » ففتح الصاد والخاء وهو الصوت المختلط المرتفع ، و« النَّصْبُ » المشقة والتعب ، ويقال فيه « نُصِبَ » بضم النون وإسكان الصاد ويفتحها ، لغتان حكاهما القاضي وغيره ، كالحزن والحزن والفتح أشهر وأصح ، وبه جاء القرآن ، وقد نصب الرجل يفتح النون وكسر الصاد إذا أعيا .

شرح النووي على مسلم [٢١٧/٨] .

وقال الحافظ ابن حجر : قوله : « فاقراً عليها السلام من ربها ومعني » زاد الطبراني في الرواية المذكورة ، فقالت : « هو السلام ومعني السلام وعلى جبريل السلام »<sup>(١)</sup> ، وللنسائي من حديث أنس قال : قال جبريل للنبي ﷺ : « إن الله يقرئ خديجة السلام » يعني فأخبرها ، فقالت : « إن الله هو السلام ، وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته »<sup>(٢)</sup> .

زاد ابن السني من وجه آخر : « وعلى من سمع السلام ، إلا الشيطان »<sup>(٣)</sup> .

قال العلماء في هذه القصة دليل على وقور فقهها ؛ لأنها لم تفل : « وعليه السلام » كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد : « السلام على الله » فنهاهم النبي ﷺ وقال : إن الله هو السلام ، فقولوا : « التحيات لله » فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يردُّ عليه السلام كما يردُّ على المخلوقين ؛ لأن السلام اسم من أسماء الله ، وهو أيضاً دعاء بالسلامة ، وكلاهما لا يصلح أن يردُّ به على الله فكأنها قالت : كيف أقول عليه السلام والسلام ، ومنه يطلب ، ومنه يحصل ؟ فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه فجمعت مكان رد السلام عليه الثناء عليه ، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره . فقالت : « وعلى جبريل السلام » . ثم قالت : « وعليك السلام » ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه . والذي يظهر أن جبريل كان حاضراً عند جوابها فردت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين :

مرة بالتخصيص .

ومرة بالتعميم .

(١) رواه الطبراني في الكبير [٢٥/٢٣] من حديث سعيد بن كثير عن أبيه ، وذكره الهيثمي في المجمع

[٢٢٨/٩] وقال : رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف .

(٢) رواه النسائي في الكبرى [٦٠٦/٦] .

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة [٢٤٠] من حديث عمرو بن وهب رضي الله تعالى عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : كان عليه الصلاة والسلام لا يسمع شيئاً من ردّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرّج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها ، تشبهه وتخفف عنه وتصدّقه وتهوّن عليه أمر الناس حتى ماتت .

وعن عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه الصلاة والسلام : إني لسيد البشر يوم القيامة ، إلا رجلاً من ذريتي نبياً من الأنبياء يقال له : أحمد ، فُضِّل عليّ باثنتين : زوجته عاوثته فكانت له عوثاً ، وكانت زوجتي عوثاً عليّ ، وأعانته الله على شيطانه فأسلم ، وكفر شيطاني . أخرجه الدولابي كما ذكره الطبري .

وخرّج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه ﷺ قال : « أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمّد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون »<sup>(٢)</sup> .

= ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك .

قيل : إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ ؛ احتراماً للنبي ﷺ ، وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ . وقد واجه مريم بالخطاب ، فقيل : لآلها نبيه ، وقيل : لآلها لم يكن معها زوج يحترم معه مخاطبتها . قال السهيلي : استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة ؛ لأنّ عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه ، وخديجة أبلغها السلام من ربها . وزعم ابن العربي أنّه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة ، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم .

قلت : ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة ما أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وصححه الحاكم من حديث ابن عباس رفعه : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد »<sup>(١)</sup> .

قال السبكي الكبير كما تقدم : لعائشة من الفضائل ما لا يحصى ، ولكنّ الذي نخناره وتدين الله به أن فاطمة أفضل ثمّ خديجة ثمّ عائشة .

فتح الباري لابن حجر [٥١٩/٧] .

(١) السيرة النبوية لابن هشام [٣٩/١] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٣١٦، ٢٩٣/١] ، وقال الشيخ شاکر [٢٩٠٣] : إسناده صحيح .

(١) رواه النسائي في الكبرى [٩٣/٥] ، والحاكم في المستدرک [٥٩٤/٢] ، [١٨٥، ١٦٠/٣] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجه . ووافقه الذهبي وابن حبان [٧٠١٠-إحسان] وصححه الأرنؤوط ، ولم أقف على رواية أبي داود .

قال الشيخ ولي الدين العراقي : خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار ، وقيل : عائشة .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرح بهجة الحاروي المسمى بالغرور البهية في شرح البهجة الوردية : أفضلهن خديجة وعائشة ، وفي أفضليتهما خلاف ، صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له : لا تزال تلهج بذكر خديجة ، إن هي إلا عجوز من عجائز قريش ، كأني أنظر إلى حمرة شديقيها ودردرها ، وقد رزقك الله خيراً منها<sup>(١)</sup> .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا والله ما رزقني خيراً منها ، آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبتني الناس ، وأعطتني مالها حين حرمني الناس »<sup>(٢)</sup> .

ومثّل ابن داود : أيهما أفضل ؟ فقال : عائشة أقرأها النبي ﷺ السلام عن

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري [٣٨٢١] ، ومسلم [٧٨/٢٤٣٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها قالت : « استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك فقال : « اللهم هالة » . قالت : فغرث فقلت : ما تذكُر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر ، فدأ ذلك الله خيراً منها » .

(٢) رواه أحمد في المسند [١١٨/٦] بنحوه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٢٧/٩] وقال : رواه أحمد وإسناده حسن . وفي سير أعلام النبلاء [١٢/٢] . . . وقال مروان بن معاوية ، عن وائل بن داود ، عن عبد الله البهي ، قال : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكذب يسأم من ثناء عليها واستغفار لها ، فذكرها يوماً ، فحملتني الغيرة ، فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن ! قالت : فرأيت غصب غضباً . أسقطت في خلدي<sup>(١)</sup> ، وقلت في نفسي : اللهم إن أذعيت غضب رسولك عني لم أعذ أذكرها بسوء . فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت ، قال : « كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبتني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، ووزقت منها الولد وحرمتهم مني » قالت : فغدا وراح علي بها شهراً<sup>(٢)</sup> .

(١) الخلد ، بالتحريك : البال والقلب والنفس .

(٢) قال الأرنؤوط : إسناده حسن ، ونسبه الحافظ في الإصابة [٢١٨٠٢١٧/١٢] إلى كتاب الدرية الطاهرة للدولابي .

جبريل<sup>(١)</sup> ، وخديجة أقرأها السلام جبريلُ من ربها على لسان محمد ﷺ<sup>(٢)</sup> ،  
فهي أفضل .

وقيل له : فمن أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ  
قال : « فاطمة بضعة مني »<sup>(٣)</sup> فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدًا .

ويشهد له قوله ﷺ : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا  
مريم ابنة عمران »<sup>(٤)</sup> . واحتج من فضل عائشة بما احتجت به هي من أنها  
في الآخرة مع النبي ﷺ في الدرجة وفاطمة مع علي فيها .

وسئل العلامة السبكي عن ذلك فقال : الذي نختاره وندين الله به أن  
فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل من أمها خديجة ، ثم أمها خديجة ، ثم  
عائشة . ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه<sup>(٥)</sup> .

وأما خير الطبراني « خير نساء العالمين مريم ابنة عمران ثم خديجة بنت  
خويلد ثم فاطمة بنت محمد ﷺ ثم آسية امرأة فرعون »<sup>(٦)</sup> فأجاب عنه ابن  
العماد بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة ، واختار  
السبكي أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر للاختلاف في نبوتها<sup>(٧)</sup> .

(١) أخرجه البخاري [٣٧٦٨] ، ومسلم [٩٠/٢٤٤٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٧٦٧] ، ومسلم [٩٤/٢٤٤٩] عن المشور بن مخزوم  
رضي الله تعالى عنه .

(٤) رواه الحاكم في المستدرک [١٥٤/٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران » ،  
وصححه ووافقه الذهبي ، ومسلم بنحوه [٩٩،٩٨/٢٤٥٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٥) فتح الباري لابن حجر [٥١٩/٧] .

(٦) رواه الطبراني في الكبير [٣/٢٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه بلفظ : « حبيك من نساء  
العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة  
فرعون » ، وعبد الرزاق في المصنف [٢٠٩١٩] ، وأحمد في المسند [١٣٥/٣] ،  
والترمذي [٣٨٧٨] ، والحاكم في المستدرک [٤٩٧/٢] وصححه على شرط الشيخين  
ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٣٠٥٣] .

(٧) قال المحافظ ابن حجر : واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَنَزَّلَتْ فِيهَا ﴾ [آل عمران : ٤٢] =

وقال ابن النقاش : إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ، ومؤازرتها ، ونصرتها ، وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها ، لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام في حمل الدين وتبليغه إلى الأمة ، وإدراكها من الأمر ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميز به عن غيرها<sup>(١)</sup> .

وفي سيرة الشامي : روى الطبراني برجال الصحيح عن الزهري<sup>(٢)</sup> قال : لم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة حتى ماتت بعد أن مكثت عنده أربعاً وعشرين سنة وأشهرًا<sup>(٣)</sup> .

= أنها كانت نية وليس بصريح في ذلك ، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم ، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك ، وقد نقل عن الأشعري أن في النساء عدة نيات ، وحصرهن ابن حزم في ست : حواء ، وسارة ، وهاجر ، وأم موسى ، ومريم . وأسقط القرطبي سارة ، وهاجر ، ونقله في « التمهيد » عن أكثر الفقهاء .

وقال القرطبي : الصحيح أن مريم نية .

وقال عياض : الجمهور على خلافه .

ونقل النووي في « الأذكار » أن الإمام - يعني : الجويني إمام الحرمين - نقل الإجماع على أن مريم ليست نية .

وعن الحسن : ليس في النساء نية ولا في الجن .

وقال السبكي الكبير : لم يصح عندي في هذه المسألة شن ، ونقله السهيلي في آخر « الروض » عن أكثر الفقهاء .

فتح الباري لابن حجر [١٤٠/٧] .

(١) المواهب اللدنية [٤٠٤/١] .

(٢) مرسل : رواه الطبراني في الكبير [١٠٩٤/٢٢] ، وعبد الرزاق في المصنف [١٤٠٧] . وأخرجه مسلم [٧٧/٢٤٣٦] من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها موصولاً .

(٣) قال ابن حجر في الإصابة : قال ابن سعد : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن جاطب ، قال : جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ، كأنني أراك قد دخلتك خلعة لفقد خديجة . قال : « أجل ، كانت أم العيال ورثة البيت . . . الحديث »<sup>(١)</sup> . وسنده قوي مع إرساله .

وقال أيضًا : أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل ، عن عبد

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٥٧/٨] .

= اللّٰهُ ابن عمير ، قال : وجد<sup>(١)</sup> رسول اللّٰه ﷺ على خديجة حتّى حُسِنَ عليه حتّى تزوج عائشة<sup>(٢)</sup> .

ومنّ مزايا خديجة أنّها ما زالت تعظّم النبيّ ﷺ ، وتصدّق حديثه قبل البعثة وبعدها ؛ وقالت له لئسا أردت أن يتوجه في تجارتها : إنّهُ دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وكرم أخلاقك ؛ ذكره ابن إسحاق .

وذكر أيضًا أنّها قالت لئسا خطبها : إني قد رغبت فيك لحسن خلقك ، وصدق حديثك . ومن طواعيتها له قبل البعثة أنّها رأت منّيّه إلى زيد بن حارثة بعد أن صار في ملكها ، فوهبه له ﷺ ؛ فكانت هي السبب فيما امتاز به زيدٌ من الشّيق إلى الإسلام ، حتّى قيل : إنّهُ أول من أسلم مطلقاً<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن السني بسند له عن خديجة أنّها خرجت لتلتص رسول اللّٰه ﷺ بأعلى مكة ومعها غداؤه ، فلقبها جبريل في صورة رجل ، فسألها عن النبيّ ﷺ فهابت ، وخشيت أن يكون بعض من يريد أن يغتاله ، فلما ذكرت ذلك للنبي ﷺ قال لها : « هو جبريل ، وقد أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويشرّها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب »<sup>(٤)</sup> .

ورواه النسائي ، والحاكم ، من حديث أنس : جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : إنّ اللّٰه يقرأ على خديجة السلام ؛ فقالت : إنّ اللّٰه هو السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام ورحمة اللّٰه<sup>(٥)</sup> .

وفى صحيح البخاري<sup>(٦)</sup> ، عن علي - رفعه : « خير نساءها مريم ، وخير نساها خديجة » . وفسر المراد به ما أخرجه ابن عبد البر في ترجمة فاطمة عن عمران بن حصين ، أن النبيّ ﷺ عاد فاطمة ، وهي وجعة ، فقال : كيف تجدينك يا بنية ؟ قالت : إني لوجعة ، وإنه ليزيد ما بي مالي طعاماً أكله . فقال : « يا بنية ، ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين ؟ » قالت : يا أبت ، فأين مريم بنت عمران ؟ قال : « تلك سيدة نساء عالمها »<sup>(٧)</sup> .

فعلى هذا : مريم خير نساء الأمة الماضية ، وخديجة خير نساء الأمة الكائنة .

وتحمل قصة فاطمة إنّ ثبت على أحد أمرين : إما التفرقة بين السيادة والخيرية ، وإما أن =

(١) وجد : حزن .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٠/٨] .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام [٣١٩/١] .

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة [٢٤٠] من حديث عمرو بن وهب رضي اللّٰه تعالى عنه .

(٥) رواه النسائي في الكبرى [١٠١/٦] ، والحاكم في المستدرک [١٨٦/٣] وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

(٦) أخرجه البخاري [٣٨١٥] .

(٧) رواه الحاكم في المستدرک [١٥٤/٣] .

يكون ذلك بالنسبة إلى من وجد بين النساء حين ذكر قصة فاطمة . وقد أثني النبي ﷺ على خديجة ما لم يُثنِ على غيرها ؛ وذلك في حديث عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها ؛ فذكرها يوماً من الأيام ، فأخذتني الغيرة ؛ فقلت : هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ؛ فغضب . ثم قال : « والله ما أبدلتني الله خيراً منها ، آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بعالمها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء »<sup>(١)</sup> .

قالت عائشة : فقلت في نفسي : لا أذكرها بعدها بسببٍ أبداً . أخرجه أبو عمر<sup>(٢)</sup> . أيضاً ، زويناه في كتاب الدرية الطاهرة للدولابي من طريق واثل بن أبي داود ، عن عبد الله اليهبي ، عن عائشة .

وفي الصحيح<sup>(٣)</sup> عن عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول : « أرسلوا إلى أصدقاء خديجة » . فقالت : فذكرت له يوماً ، فقال : « إني لأحب حببها » . قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عامٍ واحد ، وكانت خديجة وزير صدقي على الإسلام ، وكان يسكن إليها .

وقال غيره : ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح ، وقيل بأربع ، وقيل بخمس . وقالت عائشة : ماتت قبل أن تُفرض الصلاة ، يعني قبل أن يعمرج بالنبي ﷺ ، ويقال : كان موتها في رمضان .

وقال الواقدي : توفيت لعشر خلون من رمضان ، وهي بنت خمس وستين سنة ، ثم أسند من حديث حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب ، ودفنت بالحجون ، ونزل النبي ﷺ في حفرتها ، ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز .

الإمامة [٦٠٣/٧-٦٠٥] .

وقال الحافظ الذهبي : قال ابن إسحاق : تتابعث علي رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة . وكانت خديجة وزيرة صدقي ، وهي أقرب إلى قصي من =

(١) سنن تخريجه .

(٢) الاستيعاب [١٨١٧/٤-١٨٢٥] .

(٣) أخرجه البخاري [٣٨١٨] ، ومسلم [٧٥/٢٤٣٥] والملفظ له من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : « ما حيرت علي نساء النبي ﷺ إلا علي خديجة . وإني لم أذكرتها .

قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : « أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة » قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إني قد رزقتُ حببها » .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام [٢٩/٢] .

النبي ﷺ برجل . وكانت مُتموِّلة ، فعرضت على النبي ﷺ أن يخرج في مالها إلى الشام ، فخرج مع مولاهما مُسنرة ، فلما قدم باعت خديجة ما جاء به ، فأضعف ، فرغبت فيه ، فعرضت نفسها عليه ، فتزوجها ، وأصدقها عشرين بكرة . فأولادها منه : القاسم ، والطيب ، والطاهر ، مانوا زُشعاً ، ورقية ، وزينب ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قالت عائشة : أول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة . . . إلى أن قالت : فقال : ﴿ أَزْأَيْسِرَ رَبِّكَ أَنْ يَقُولَ لِلْمَاءِ : ﴿ اذْهَبْ عَنْكَ الرَّوحُ ﴾ . [ العلق : ١ ] . قالت : فرجع بها تزجف بوادوه<sup>(١)</sup> . حتى دخل على خديجة ، فقال : ﴿ زُمَّلُونِي ﴾ . فرُمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوح . فقال : ﴿ مالي يا خديجة ؟ ﴾ وأخبرها الخبر وقال : ﴿ قد خشيتُ على نفسي ﴾ . فقالت له : كلا ، أبشر ، فوالله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتُصِل الرِّحْم ، وتصدقُ الحديث ، وتحيلُ الكل ، وتعينُ على نوابِ الحق ، وانطلقتُ به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد ، وكان امرأً تنصُر في الجاهلية ، وكان يكتبُ الخط العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله له أن يكتب ، وكان شيخاً قد نغمي . فقالت : اسمع من ابن أخيك ما يقول . فقال : يا ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره . فقال : هذا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى الْحَدِيثِ<sup>(٢)</sup> . قال الشيخُ عزَّ الدين بن الأثير : خديجة أولُ خلق أسلم ، بإجماع المسلمين<sup>(٣)</sup> .

وقال الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عُقبة ، وابن إسحاق ، والواقدي ، وسعيد بن يحيى : أول من آمن بالله ورسوله خديجة ، وأبو بكر ، وعلي ، رضي الله تعالى عنهم .

قال ابن إسحاق : حدثني إسماعيل بن أبي حكيم ، أنه بلغه أن خديجة قالت : يا ابن عم أنتستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك ؟ فلما جاءه ، قال : يا خديجة ، هذا =

(١) جمع بادرة ، وهي لحمة بين المنكب والعتق .

(٢) وتماهه : لبتني فيها جدها ، لبتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم ؟ » قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل بما جئت به إلا أودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي . أخرجه البخاري [٤٩٥٣] .

(٣) أسد القابة [٧٨/٧] . وعز الدين لقبه ، واسمه علي بن محمّد الجزري توفي سنة ٦٣٠هـ وهو المؤرخ صاحب « الكامل » وأخوه المحدث أبو السعادات المبارك بن محمّد الجزري المحدث صاحب « جامع الأصول » و« النهاية في غريب الحديث » المتوفى سنة ٦٠٦هـ وأخوه الثالث ضياء الدين أبو الفتح نصر الله الكاتب البليغ صاحب « المثل السائر » المتوفى سنة ٦٣٧هـ .

وروى الطبراني<sup>(١)</sup> بسند فيه من لا يعرف ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ أطعم خديجة من عنب الجنة .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتني بالشيء يقول : « اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة »<sup>(٢)</sup> ، رواه ابن حبان والدولابي .

وفي رواية : « فإنها كانت تحب خديجة » ، وفي رواية : جاءت عجوز إليه ﷺ فقال لها : « من أنت ؟ » فقالت : جنابة المزنية .

فقال : « كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف كنتم بعدنا ؟ » قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت عجوز تأتي النبي ﷺ فيبش لها ويكرمها . وفي لفظ : كانت تأتي النبي ﷺ امرأة فقلت : يا رسول الله من هذه ؟ وفي لفظ : بأبي أنت وأمي إنك لتصنع بهذه العجوز ما لم تصنع بأحد ، وفي لفظ : فلما خرجت

جربيل<sup>(٣)</sup> . فقالت : افخذ على فخذى . ففعل . فقالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » . قالت : فتحول إلى الفخذ اليسرى . ففعل . قالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » . فالتفت بجوارها ، وخسرت عن صدرها . فقالت : هل تراه ؟ قال : « لا » . قالت : أبشر ، فإنه والله منك ، وليس بشيطان<sup>(٤)</sup> .

سير اعلام النبلاء [١١٤/٢-١١٦] .

(١) رواد الطبراني في الأوسط [٦٠٩٨] وذكره الهيثمي في المجمع [٢٢٨/٩] وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه .

(٢) رواد الطبراني في الكبير [٢٠/٢٣] وابن حبان [٧٠٠٧-إحسان] ، والحاكم في المستدرک [١٧٥/٤] ، والبخاري في الأدب المفرد [٢٣٢] ، والبيزار [١٩٠٤] ، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد [١٧٢] وانظر الصحيحة [٢٨١٨] .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام [٢٣٩، ٢٣٨/١] ورجالہ الثقات ، لكنه منقطع ، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة [٨٣، ٨٢/٧] من طريق ابن إسحاق .

قلت : يا رسول الله تقبل على هذه الحجوز هذا الإقبال ؟ فقال : « يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » . وفي لفظ : « فإن كرم العهد من الإيمان »<sup>(١)</sup> .



(١) رواه الحاكم في المستدرک [١/١٥-١٦] وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي ، والطبرانی في الكبير [٢٣/٢٣] وانظر السلسلة الصحيحة [٢١٦] .

## أم المؤمنين سودة بنت زمعة

رضي الله تعالى عنها

« المهاجرة أرملة المهاجر ، أول زوجة له ﷺ بعد خديجة »

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية<sup>(١)</sup> ، أمها الشموس بنت قيس بن زيد بن لبيد ابن أخي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم عبد المطلب . أسلمت قديماً ويايعت ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو ابن عبد شمس بن عبد ود بن عامر بن لؤي أخي سهيل بن عمرو وسهل بن عمرو وسليط وحاطب ، أسلم السكران زوجها معها قديماً وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، فلما قدما مكة مات زوجها ، وقيل : إنه مات بالحبشة ، وولدت له ابناً اسمه عبد الرحمن قتل في حرب جلولاء - اسم قرية من قرى فارس وقعت تلك الحرب فيها - .

وتزوجها ﷺ بمكة بعد موت خديجة رضي الله تعالى عنها بأيام في السنة العاشرة من النبوة قبل أن يعقد على عائشة ، وهذا قول قتادة وأبي عبيدة ، ولم يذكر ابن قتيبة غيره .

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : تزوجها بعد عائشة ، روي القولان عن ابن شهاب .

ويُجمع بين القولين بأنه ﷺ عقد على عائشة قبل سودة ، ودخل بسودة

(١) قال الذهبي : هي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة ، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر ، حتى دخل بعائشة ، وكانت سيدة جليلة نبيلة ، يروي لها خمسة أحاديث منها في الصحيحين حديث واحد عند البخاري .

قبل عائشة ، والتزويج يطلق على كل من العقد والدخول ، وإن كان المتبادر إلى الفهم الأول<sup>(١)</sup> .

وللبخاري : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ، فلبث ستين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بني بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين<sup>(٢)</sup> .

قال في السيرة الشامية : قال ابن كثير : والصحيح أن عائشة عُقد عليها قبل سودة ، ولم يدخل بعائشة إلا السنة الثانية من الهجرة : وأما سودة فإنه دخل بها بمكة . وسبقه على هذا أبو نعيم ، وجزم به الجمهور منهم قتادة وأبو عبيدة معمر بن المشني والزهري .

قال في تاريخ الخميس : روى أنه لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة مظعون .

فقلت : يا رسول الله ألا تتزوج ؟

قال : من ؟

قلت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً .

قال : فمن البكر ؟

قلت : انما أحب الخلق إليك أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟

قلت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول .

قال : فاذهبي فاذكريهما علي .

فدخلت بيت أبي بكر وقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليكم من

الخير والبركة ؟

قلت : وما ذلك ؟

قلت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة .

قلت : انتظري أبا بكر حتى يأتي .

(١) المواهب اللدنية [٤٠٥/١] .

(٢) أخرجه البخاري [٣٨٩٦] عن عمرو رضي الله تعالى عنه .

فجاء أبو بكر فقالت له : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟  
قال : وما ذاك ؟

قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة .  
قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه .  
فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك .

قال ارجعي إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام ، وابنتك  
تصلح لي .

فرجعت فذكرت ذلك له . قال : انظري . قالت أم رومان : إن مطعم  
بن عدي قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه - تعني أبا  
بكر - فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته - أم الفتي - .  
فقالت : يا ابن أبي قحافة لعلك تصبي صاحبنا ، تدخله في دينك الذي  
أنت عليه إن تزوج إليك .

قال أبو بكر لمطعم بن عدي : أتقول ما تقول هذه ؟  
قال : إنها لتقول ذلك !

فخرج أبو بكر من عنده وقد أذهب الله ما في نفسه من عذبة التي وعده  
بها ، فخرج فقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ . فدعته فزوجه إناها ،  
وعائشة يومئذ بنت ست سنين كما مر .

ثم خرجت خولة حتى دخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ماذا أدخل  
الله عليكم من الخير والبركة ؟

قالت : وما ذاك ؟

قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه .

قالت : وددت ذلك ، ادخلي على أبي واذكري له ذلك - وكان شيخاً  
كبيراً قد أدركته السن ، وقد تخلف عن الحج - فدخلت عليه فذكرت له .  
فقال : كفؤ كريم .

فدعا رسول الله ﷺ فزوجه إناها .

فجاء أخوها عبد الله بن زمعة فجعل يحشو الثراب على رأسه أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة . فلما أسلم قال : إني لسفيه يوم أحشو الثراب على رأسي أن تزوج رسول الله ﷺ أختي .

رواه الطبراني برجال ثقة ، والإمام أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند جيد<sup>(١)</sup> .

قال العلامة محمد الشامي : روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كانت سودة بنت زمعة تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العاصري ، فرأت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وضع رجله على رقبته .

فأخبرت زوجها بذلك فقال : لئن صدقت رؤياك لأموئن وليتزوجك محمد .

ثم رأت في المنام ليلة أخرى أن قمرًا انقضَّ عليها وهي مضطجعة ، فأخبرت زوجها فقال : لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيراً حتى أموت ، وتزوجين من بعدي .

فاشككي السكران من يومه ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات .  
وتزوجها عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup> .

وروى أبو عمرو عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما أسئت سودة عند رسول الله ﷺ همَّ بطلاقها فقالت : لا تطلقني وأنت في حل مني ، فأنا أريد أن أحشر في أزواجك ، وإني قد وهبت يومي لعائشة ، وإني لا أريد ما تريد النساء<sup>(٣)</sup> . فأمسكها رسول الله ﷺ حتى

(١) رواه الطبراني في الكبير [٢٣/٥٧، ٢٤/٨٠] ، وأحمد في المسند [٦/٢١٠] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٢٨، ٢٢٩] وقال : في الصحيح طرف منه ، وروى أحمد : بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة ، وأكثره مرسل ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد ، وبقي رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/٥٦، ٥٧] .

(٣) قال ابن حجر في الإصابة : أخرج ابن سعد من حديث عائشة من طرق ، في بعضها أنه

بعث إليها بطلاقها ، وفي بعضها أنه قال لها : اعتدي ؛ والطريقان مرسلان ، وفيهما :  
 أنها قعدت له على طريقه فنادته أن يزاجعها ، وجعلت يوعها وليلتها لعائشة ففعل .  
 ومن طريق معمر ، قال : بلغني أنها كلمته ، فقالت : ما بي على الأزواج من حرص ،  
 ولكنني أحب أن يعشي الله يوم القيامة زوجاً لك<sup>(١)</sup> .

وفي الصحيح عن عائشة : استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة  
 الناس ، وكانت امرأة ثبطة - يعني ثقيلة - فأذن لها ، ولأن أكون استأذنته أحب إلي من  
 معروج به<sup>(٢)</sup> .

وصح عن عائشة قالت : ما من الناس أحد أحب إلي أن أكون في بسلاخه من سودة ؛ إن  
 بها إلا حدة فيها كانت تسرع منها الفينة .

وقال ابن سعد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ؛ قال : قالت  
 سودة لرسول الله ﷺ : صليتُ خلقك الليلة ؛ فركعت بي حتى أمسكت بأنفي  
 مخافة أن يقطر الدم ، فضحك وكانت تضحكه بالشيء أحياناً . وهذا مرسل ، رجاله  
 رجال الصحيح .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح ، عن محمد بن سيرين ، أن عمر بعث إلى سودة بزيارة من  
 دراهم ؛ فقالت : ما هذه ؟ قالوا : دراهم . قالت : في غرارة مثل التمر ! ففرقتها .  
 وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل أبي الأسود يثيم عروة ، أن سودة قالت :  
 يا رسول الله ، إذا متنا صلّي لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا أنت . فقال لها : يا بنت  
 زمعة ، لو تعلمين بعلم الموت لعلمت أنه أشد ممًا نظنين .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٥٤/٨] .

وفي أعلام النساء : وعن ابن عباس أن النبي ﷺ خطب سودة وكان لها خمسة صبية أو ستة ،  
 فقالت : والله ما يمنعني منك وأنت أحب البرية إلي ، ولكنني أكرهك أن يضحك هؤلاء الصبية عند  
 رأسك بكرة وعشبة .

فقال لها رسول الله ﷺ : يرحمك الله . إن خير نساء ركنين على أعجاز الإبل ، صالح نساء قريش  
 أحبهن علي ولد في صغره ، وأرعاه ليعل في ذات يده .

وكان زواج النبي ﷺ بسودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة بنته . وقيل : سنة  
 ثمان للهجرة ، على صدق قدره أربعمائة درهم ، وهاجر بها إلى المدينة .

وروت سودة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث ، أخرج منها في الصحيحين  
 حديث واحد ، وفي رواية : أن البخاري روى لها حديثين . وروى لها أبو داود والنسائي . أعلام  
 النساء [٢٦٧-٢٦٩] .

(٢) أخرجه البخاري [١٦٨٠] ، ومسلم [٢٩٣/١٢٩٠] .

مات عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه ﷺ ورضي عنهن<sup>(١)</sup> .  
 وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام  
 حجة الوداع : « هذه ثم ظُهور الخضر » . قال : فكلكنَّ يحججن إلا زينب  
 وسودة هذه ، فكانتا تقولان : والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من  
 رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

= وقال ابن أبي خيثمة : توفيت سودة بنت زمعة في آخر زمان عمر بن الخطاب ، ويقال :  
 ماتت سنة أربع وخمسين . ورجحه الواقدي .  
 وروى عنها ابن عباس ، ويحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة .

الإصابة [٧٢١-٧٢٢/٧] ، الاستيعاب [٤/١٨٦٧] .

(١) أخرج البخاري [٥٢١٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن سودة بنت زمعة وهبت  
 يومها لعائشة ، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة .

(٢) روى أحمد في المسند [٣٢٤/٦] ، وابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/٥٥] وذكره الهيثمي  
 في الزوائد [٣/٢١٧] وقال : حديث صحيح

وقال الشافعي : فقد كانت معه ﷺ في حجة الوداع . وكان يعرف ما بها من ضعف حيث  
 إنها كانت بطيئة جسيمة . ففرق بها ورحم ضعفها فأذن لها بالسير ليلاً من المشعر الحرام  
 إلى منى . وذلك لتصل قبل حطمة الناس فلا تتورط في زحامهم<sup>(٣)</sup> . وفي هذه الحجة  
 بالخصوص بسط رسول الله يد الرحمة لأمته فكان لا يسأله أحد من الحجاج عما قدم أو  
 أخر من حجه إلا قال : « افعل ولا حرج » .

ففي البخاري عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن من حلق قبل أن يذبح . قال :  
 « لا حرج لا حرج » .

وقال له رجل آخر رميت بعدما أميئت . قال : « لا حرج » .  
 وأخرج أيضاً عن ابن عمر أنه ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه ، فما سئل يوماً  
 عن شيء قدم أو أخر إلا وقال : « افعل ولا حرج »<sup>(٤)</sup> .

فهل كل هذه الرحمة وهذا التوسيع وصل إلى الأمة من بركة سودة فهي التي كانت أول من  
 استأذنه أن تتقدم قبل الحجاج وأن لا تدفع من المشعر الحرام بدفع الجميع ، فرحمها وأذن  
 لها ورحم كل من سألها بعدها وقال له : « افعل ولا حرج » .

وقد توفيت سودة في خلافة عمر بن الخطاب<sup>(٥)</sup> . رضي الله تعالى عنها وعن جميع المسلمين .

(١) أخرجه البخاري [١٦٨٠] ، ومسلم [١٢٩٠/٢٩٣] .

(٢) أخرجه البخاري [١٧٣٦] .

(٣) أسد الغابة لابن الأثير [٥/٤٨٥] .

ماتت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه . هذا هو المشهور في وفاتها <sup>(١)</sup> . ونقل ابن سعد عن الواقدي : أنها توفيت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية . أصدقها عليه الصلاة والسلام أربعمائة دينار ، قال هذا الشمس البرماوى في مختصر سيرته .

(١) توفيت سودة بالمدينة في شوال سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية ، وفي رواية أنها توفيت في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ، وفي رواية : أنها توفيت سنة ٥٥ هـ ، ولما توفيت سودة مسجد ابن عباس رضي الله عنهما فبيل له في ذلك . فقال : قال ﷺ : إذا رأيتهم فاسجدوا ، وأي آية .

## أم المؤمنين عائشة

رضي الله تعالى عنها

« فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية<sup>(١)</sup> ، أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر . روى أبو بكر بن أبي خيشمة عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد أن أم رومان زوج أبي بكر أم عائشة لما دُلت في قبرها قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان »<sup>(٢)</sup> .

ولدت عائشة بعد البعثة بأربع سنين أو خمس .

وروى ابن الجوزي في الصفوة عنها رضي الله تعالى عنها قالت : قلت يا رسول الله أتكنيني ؟ قال : « تكتني بابنك »<sup>(٣)</sup> .

(١) قال الذهبي : وعائشة ممن ولد في الإسلام ، وهي أصغر من فاطمة بشماني سنين ، وكانت تقول : لم أعقل أبوي إلا وهما بدينان الدين . وذكرت أنها لحقت بمكة سانس الفيل شيخاً أعمي يستعطي .

وكانت امرأة بيضاء جميلة . ومن ثم يقال لها : الخميرة . ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحب امرأة خيها . ولا أعلم في أمة محمد ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقاً ، امرأة أعلم منها . وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها . وهذا مردود ، وقد جعل الله لكل شئ قدراً ، بل نشهد أنها زوجة نبياً ﷺ في الدنيا والآخرة ، فهل فوق ذلك منفر ، وإن كان للصديقة خديجة شأواً لا يلحق ، وأنا واقف في أيّهما أفضل . نعم جزمتم بأفضلية خديجة عليها لأمر ليس هذا موضعها .

سير أعلام النبلاء، [١٤٠/٢] .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢٧٧/٨] ، وانظر الاستيعاب [١٩٣٥/٤] ، وأسد الغاية [٣٢١/٧] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٤/٨] بلفظ : « اكنني بابنك عبد الله بن الزبير » .

يعني عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء بنت أبي بكر .  
 وروى ابن حبان عنها قالت : لَمَّا وُلِدَ عبد الله بن الزبير - ابن أختها  
 أسماء - أتيت به رسول الله ﷺ فتفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه  
 ريقه عليه الصلاة والسلام ، وقال : « هو عبد الله وأنت أم عبد الله »<sup>(١)</sup> .  
 وقيل : إنها ولدت من رسول الله ﷺ ولذا مات طفلاً . وهذا غير  
 ثابت ، والصحيح الأول .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال  
 لي رسول الله ﷺ : « أريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين » ، وفي لفظ :  
 « ثلاث ليال ، جاءني بك المَلَك في سرقة من حرير فيقول : هذه امرأتك ،  
 فأكشف عن وجهك فإذا هي أنت ، فأقول : إن يكن من عند الله يمضه »<sup>(٢)</sup> .  
 وروى الترمذي وحسنه ابن عساکر عنها عن رسول الله ﷺ قال : « جاءني  
 بك جبريل في خرقة خضراء فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة »<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه ابن حبان [ ٧١١٧ ] ، وقال الأرنؤوط : إسناده قوي .

(٢) أخرجه البخاري [ ٣٨٩٥ ] ، ومسلم [ ٧٩/٢٤٣٨ ] ، وأحمد في المسند [ ٤١/٦ ] .

(٣) رواه الترمذي [ ٣٨٨٠ ] وحسنه ، وقال الألباني في صحيح الترمذي [ ٣٠٤١ ] : صحيح .

وروى ابن عساکر بسنده : « لَمَّا مَاتَتْ خديجة حزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً ،  
 قبعت الله جبريل فاتاه بعائشة في منهد فقال : يا رسول الله هذه تذهب ببعض حزنك ،  
 وإن فيهنه خلفاً من خديجة ، ثم رذها فكان رسول الله ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر  
 ويقول : يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً ، واحفظيني فيها . فكان لعائشة بذلك منزلة  
 عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها ، فاتاهم رسول الله ﷺ يوماً في بعض ما كان  
 يأتيهم ، وكان لا يخطئه يوم واحد أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر فيجد  
 عائشة مسترة باب دار أبي بكر تكفي بكاء حزناً فسألها فشكت إليه أمها وذكرت أنها تولع  
 بها ، فدعمعت عينها رسول الله ﷺ ودخل على أم رومان فقال : « يا أم رومان ، ألم  
 أوصيك بعائشة أن تحفظيني فيها ؟ فقالت : يا رسول الله ، إنها بلغت الصديق عتاً فأغضبته  
 علينا ، فقال النبي ﷺ : « وإن فعلت » ، قالت أم رومان : لا جرم لاسئلتها أبداً .  
 وكانت عائشة ولدت السنة الرابعة من النبوة في أولها »<sup>(١)</sup> .

(١) كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين الحديث الثامن [ ص : ١٠١ : ١٠٢ ] . ورواه ابن سعد

في الطبقات الكبرى [ ٧٩/٨ ] .

وروى الطبراني برجال الثقة ، والإمام أحمد في المناقب والمسند ، والبيهقي بإسناد حسن عن أبي سلمة بن عبد الله بن حاطب عن عائشة قالت : لَمَّا مَاتَ خَدِيجَةٌ جَاءَتْ خَوْلَةَ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةَ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ الْمُتَقَدِّمَ فِي خُطْبَةِ سُودَةَ - وَتَمَامَهُ : فَقَالَتْ لَخَوْلَةُ قَوْلِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَلِيَّاتٌ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَلَكَهَا .

قالت عائشة : فتزوجني ، ثم لبثت سنتين ، فلما قدمنا المدينة نزلنا بالسُّنْحِ فِي دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ .

قالت : فإني لأترجح بين عذقين<sup>(١)</sup> وأنا ابنة نسع ، فجاءت بي أمي من الأرجوحة ولي جُمَيْمَةٌ<sup>(٢)</sup> ، ثم أقبلت تفودني حتى وقفت عند الباب وأنا أنهج ، فمسحت وجهي بشيء من ماء وفرقت جميمتي ودخلت بي على رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال ونساء ، فأجلستني في حجره ، ثم قالت : هؤلاء أهلك يا رسول الله فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك .

قالت : فقام الرجال والنساء فبني بي رسول الله ﷺ ، ولا والله ما نُحِرْتُ عَلَيَّ مِنْ جُزُورٍ وَلَا دُبْحَةٍ مِنْ شَاةٍ ، وَلَكِنْ جَفَنَةٌ كَانَ يَبْعَثُ بِهَا سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن حبان زيادة بعد قولها : « وأنا أنهج » فقلت : هد هد حتى ذهب نفسي ، فأخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ، ثم دخلت بي

= وقال : هذا حديث مرسل من حديث حبيب مولى عروة بن الزبير ، رواه ابن سعد عنه في طبقاته ، ولا يقول هذا - والله أعلم - إلا عن إخبار عن النبي ﷺ ، لأنه لم يكن حاضراً وقت تزويج عائشة فكيف قبله ١٩ ولأن فيه إخباراً عن جبريل وذلك لا اطلاع له ولا لغيره عليه سوى النبي ﷺ . وهذا قبل نزول آية الحجاب ، لأنها نزلت بعد مهاجره إلى المدينة لَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) العذق : النخلة .

- مختار الصحاح [٢٢٢] .

(٢) الجُمَيْمَةُ : تصغير الجُمَّة ، وهي : مجتمع شعر الرأس .

- لسان العرب [١٢/١٠٧] .

(٣) سبق تخريجه ، وروى أبو داود [٤٩٣٧] بعضه : « فلما قدمنا المدينة . . . » ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٤١٢٨] .

الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن فأصلحوا شأني ، فلم يرُغمني إلا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا ، فأسلمتني إليه وبني بي رسول الله ﷺ في بيتنا . ثم ذكرت قولها : فما نحررت .. إلى آخر الحديث<sup>(١)</sup> .

وروى مسلم والنسائي عنها قالت : تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست ، وبني بي وأنا ابنة تسع<sup>(٢)</sup> ، وكنت أعب بالبنيات ، وكُنُّ جوارٍ يأتيني ، فإذا رأني رسول الله ﷺ يتقنعن منه ، وكان ﷺ يسيرهنَّ إلى<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن سعد عنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أعب بالبنيات فقال : ما هذا يا عائشة ؟ فقلت : خيل سليمان . فضحك عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup> .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها قالت : كنت صاحبة عائشة رضي الله تعالى عنها التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعني نسوة ، فوالله ما وجدنا عندها قروى إلا قدحًا من لبن ، قالت : فشرِب منه ﷺ ، ثم ناوله عائشة فاستحييت الجارية .

فقلت : لا تردُّنَّ يد رسول الله ﷺ . فأخذته على حياء فشرِب منه .

ثم قال : « ناولي صواحبك » . فقلن : لا نشتهيه .

فقال ﷺ : « لا تجمعين جوعًا وكذبًا » .

فقلت : يا رسول الله ، إنا إذا قلنا لشيء نشتهيه « لا نشتهيه » يُعد ذلك كذبًا ؟ قال : « إنَّ الكذب يكتب كذبًا حتَّى تكتب الكذبة كذبة »<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه ابن حبان [٧٠٩٧] ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه مسلم [٧٠/١٤٢٢] ، والنسائي في المجتبى [٣٣٧٨] .

(٣) أخرجه مسلم [٨١/٢٤٤٠] بنحوه .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٢/٨] .

(٥) رواه أحمد في المسند [٤٣٨/٦] بلفظ : « لا تجمعين ... حتَّى تكتب الكذبة كذبية » . والطبراني في الكبير [٤٣٤/٢٤٠٦٣/٢٣] ، وذكره الهيثمي في مجمع =

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عنها قالت : تزوجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبني بي في شوال ، فأبي نساته كان أحظى عنده مني<sup>(١)</sup> ؟

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : تزوجها عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بستين - قلت : يعني عقد عليها ، كما تقدم التنبيه عليه - في شوال وهي ابنة ست سنين ، فكانت<sup>(٢)</sup> تستحب أن يُتني بنساتها في شوال .

قال أبو عاصم : إنما كره الناس أن تدخل النساء في شوال لطاعون وقع في شوال في الزمن الأول .

وروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن الزهري قال : لم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غير عائشة<sup>(٣)</sup> .

= الزوائد [٥٤/٤] وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير بنحوه ، وشهر بن حوشب فيه كلام وحديثه حسن ، وروى ابن ماجه [٣٢٩٨] بعضه : لا تجمعن جوعاً وكذباً ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه [٢٦٦٧] .

(١) أخرجه مسلم [٧٣/١٤٢٣] ، والترمذي [١٠٩٣] ، والنسائي في المجتبى [٣٣٧٧] ، وابن ماجه [١٩٩٠] ، وأحمد في المسند [٢٠٦٠٥٤/٦] .

(٢) هكذا بالأصل . ولعله كانت العرب تستحب . . . .

(٣) ورؤى عنها أنها قالت : لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران : لقد نزل جبريل بظورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني ، ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ، ولقد قبض ورأسه في حجرى ، ولقد قبرته في بيتى ، ولقد حُفَّت الملائكة بيبي ، وإن كان الوحي لينزل عليه وإنى لمعه في لحانه ، وإنى لآبنة خليفته وصديقه ، ولقد نزل عُذرى من السماء ، ولقد خُلِقَتْ طيبةً عند طيب ، ولقد وُجِدَتْ مغفرةً وزرقاً كريماً .

قال الذهبي : رواه أبو بكر الأجرى ، عن أحمد بن يحيى الحلواني عنه . وإسناده جيد . وقال الأرنؤوط : في سنده علي بن يزيد بن جدعان وهو ضعيف وجَدْتَه لا تُعرف .

سير اعلام النبلاء [١٤١/٢] .

وروى أنها قالت لِنساء النبي ﷺ : فَضَلْتُ عَلَيْكُمْ بَعَثِرٍ وَلَا فخر : كُنْتُ أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَبِي أَحَبَّ رَجَالِهِ إِلَيْهِ ، وَابْتَكْرَنِي وَلَمْ يَبْتَكِرْ غَيْرِي ، وَتَزَوَّجَنِي لِسَبْحٍ ، وَبَنَى بِي لَسَعٍ ، وَنَزَلَ عُذْرِي مِنَ السَّمَاءِ ، وَاسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ نِسَاءَهُ فِي مَرَضِهِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيُسْقَى عَلَيَّ الْاِحْتِلَافَ بَيْنَكُنَّ ، فَأَنْذَرَنِي أَنْ أَكُونَ عِنْدَ نَعْيِكُنَّ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : قَدْ عَرَفْنَا مِنْ

وروى ابن حبان وأبو بكر عنها : تزوجني ﷺ وأنا ابنة ست ، ودخلت عليه وأنا ابنة تسع . ومكث عندها تسع سنين<sup>(١)</sup> ، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة .

وروى الترمذي وصححه عن عبد الله بن زياد الأسدي قال : سمعت عمارة يقول : هي زوجته في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup> .

قال أبو الحسن عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يا عائشة إنه ليهون علي الموت أني قد رأيتك زوجتي في الجنة »<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن عساکر بلفظ : « ما أبالي الموت منذ علمت أنك زوجتي في الجنة »<sup>(٤)</sup> .

وروى الطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن العاص قال : قيل يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قيل : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها »<sup>(٥)</sup> .

وروى أبو يعلى والبخاري بإسناد حسن عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال : « ما يبكيك ؟ » قالت : سببني فاطمة . فقال : « يا فاطمة أسببت عائشة ؟ » قالت : نعم . قال : « اليس تحبين من أحب ؟ » قالت : نعم . « وتبغضين من أبغض ؟ » قالت : بلى . قال :

« تريد عائشة . قد أدنا لك . وكان آخر زاده من الدنيا ربي ، أتى بسواك ، فقال : انكثبه يا عائشة . فنكثته ، وقبض بين حجري ونحري ، ودفن في بيني . قال الذهبي : هذا حديث صالح الإسناد ، ولكن فيه انقطاع . وقال الأرنؤوط : رجاله ثقات لكنه منقطع كما قال الذهبي .

سير أعلام النبلاء ١١١٧/٢١ -

(١) رواه ابن حبان [٧١١٨-إحسان] ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(٢) رواه الترمذي [٣٨٨٩] وحسنه ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٣٠٤٨] .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [٩٨/٢٣] ، وانظر السمعاني في مناقب أمهات المؤمنين [ص: ٦٤] .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٦/٨] .

(٥) أخرجه البخاري [٤٣٥٨، ٣٦٦٢] ، وأحمد في المسند [٢٠٣/٤] ، والطبراني في الكبير

« فإني أحب عائشة فأحبها » . قالت فاطمة : لا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها أبداً<sup>(١)</sup> .

وروى النسائي<sup>(٢)</sup> عنها : ما علمت حتى دخلت عليّ زينب وهي غضبي ، ثم قالت لرسول الله ﷺ : حسبك إذ قلبت لك ابنة أبي بكر دُرَيْعَتَيْهَا<sup>(٣)</sup> . ثم أقبلت عليّ فأعرضت عنها . قال لي ﷺ : « دونك فانتصري » . فأقبلت عليها حتى رأيتها قد يست ريقها في فيها ما تردُّ عليّ شيئاً ، فرأيت ﷺ يتهلل وجهه .

وروى البخاري في الأدب عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة إلى النبي ﷺ فاستأذنت والنبي ﷺ مع عائشة في مرطها ، فأذن لها فدخلت فقالت : إن أزواجك أرسلتني يسألنك العدل في بنت أبي قحافة . قال : « أي بنية أتحبين ما أحب ؟ » قالت : بلى . قال : « فأحبي هذه » . فقامت فخرجت فحدثتهن . فقلن : ما أغنيت عنا شيئاً ، فارجمي إليه . فقالت : والله لا أكلمه فيها أبداً<sup>(٤)</sup> .

وروى ابن أبي خيثمة أن النساء قلن لأم سلمة : قولني لرسول الله ﷺ إن الناس تأتيك هداياهم يوم عائشة ، فقل للناس يهدوا إليك حيث ما كنت ، فإننا نحب الخير كما تحبه عائشة ، فلما جاءها رسول الله ﷺ قالت له ذلك ، فأعرض عنها . فلما ذهب جاء النساء إلى أم سلمة يقلن : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت : قد قلت له ، فأعرض عني . فقلن لها : عودي فقولي له أيضاً . فلما دار إليها قالت له مثل ذلك ، فقال لها : « يا أم سلمة لا تؤذيني

(١) رواه أبو يعلى [٤٩٥٥/٨] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤٤/٩] وقال : فيه مجالد ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه النسائي في الكبرى [٢٩٠/٥] .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث [١٥٨/٢] : « حسبك إذ قلبت لك ابنة أبي قحافة دُرَيْعَتَيْهَا » . الدريرة تصغير الذراع ، ولحوق الهاء فيها لكونها مؤنثة ، ثم نثتها مصغرة ، وأرادت به ساعدها .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد [٥٥٩] ، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد [٤٣٦] : صحيح .

في عائشة ، فوالله ما منكن امرأة ينزل عليّ الوحي في ثوبها إلا عائشة»<sup>(١)</sup> .  
وروى أبو عمرو بن السماك أن عائشة قالت : إني لأفخر على أزواج النبي ﷺ بأربع : ابتكرني ولم يبتكر امرأة غيري ، ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل عليّ إلا في بيتي ، ونزل في عذري قرآن يتلى ، وأناه جبريل بصورتي مرتين قبل أن يملك عقدي<sup>(٢)</sup> .

وروى الطبراني واليزار برجال ثقة وابن حبان عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ طيب النفس ، فقلت : يا رسول الله ادع لي . فقال : « اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرّت وما أعلنت » .

فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله : « أسرك دعائي ؟ » فقالت : مالي لا يسرني دعاؤك ؟ فقال : « فوالله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاتي »<sup>(٣)</sup> .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقبلها وهو صائم<sup>(٤)</sup> ويمص لسانها<sup>(٥)</sup> .

وروى ابن عساکر عنها أنه كان بينها وبين رسول الله ﷺ كلام ، فقال لها : « من ترضين بيني وبينك ، أترضين بعمر بن الخطاب ؟ » قالت : لا ، فعمر فظ غليظ . قال عليه الصلاة والسلام : « أترضين بأبيك بيني وبينك ؟ » قالت : نعم . فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال : إن هذه من أمرها كذا ومن أمرها كذا .

(١) أخرجه البخاري [٢٥٨١] مطولاً .

(٢) السمع الطميين في مناقب أمهات المؤمنين [ص: ٧٣] ، وانظر هامش [٢] في الصفحة السابقة .

(٣) رواه اليزار [٢٠٠٥] وابن حبان [٧١١١-إحسان] بلفظ : « إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة » ، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن . وذكره الهنمي في مجمع الزوائد [٢٤٦/٩] وقال : رواه اليزار ورجاله رجال الصحيح .

(٤) أخرجه مسلم [٦٣/١١٠٦] من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٥) رواه أبو داود [٢٣٨٦] من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود [٥١٥] .

قالت فقلت : اتق الله ولا تقل إلا حقًا .

قالت : فرجع أبو بكر يده فرثم أنفي<sup>(١)</sup> وقال : أنت لا أم لك يا ابنة أم رومان ، تقولين الحق أنت وأبوك ولا يقوله ﷺ ؟ فابتدرني منحراي كأنهما عزلاوان<sup>(٢)</sup> .

فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم ندعك لهذا » .

قالت : ثم قام إلى جريدة في البيت ، وجعل بضربني بها ، فوليت هاربة منه ، فلزقت برسول الله ﷺ فقال : أقسمت عليك لمّا خرجت ، فإننا لم ندعك لهذا .

فلمّا خرج قمت فتنحيت عن رسول الله ﷺ فقال : « ادني مني » . فأبيت أن أفعل ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لها : « لقد كنت شديدة اللزوق لي بظهري »<sup>(٣)</sup> .

وروى مسلم والنسائي والدارقطني عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « إني لأعلم إذا كنت عليّ راضية وإذا كنت عليّ غضبي » .

قالت : فقلت بم تعلم ذلك يا رسول الله ؟

قال : « إذا كنت راضية قلت : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبي قلت : لا ورب إبراهيم » .

قلت : صدقت يا رسول الله ، ما أهجر إلا اسمك<sup>(٤)</sup> .

(١) أي أدماه . النهاية في غريب الحديث [١٩٦/٢] .

(٢) لعله تلبية عزلاء وهو فم المزادة الأسفل . النهاية في غريب الحديث [٢٣١/٣] .

(٣) السمع الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ٧٦ ] .

(٤) أخرجه البخاري [٥٢٢٨] ، ومسلم [٨٠/٢٤٣٩] ، والنسائي في الكبرى [٣٦٥/٥] .

قال الحافظ ابن حجر : يؤخذ منه استقرار الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه ، والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك ؛ لأنه ﷺ جزم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتهما ، فبني على تغير الحاليتين من الذكر والسكوت غير الحاليتين من الرضا والغضب ، ويحتمل أن يكون انضم إلى ذلك شيء آخر أصرح منه لكن لم ينقل . وقول عائشة : « أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك » قال الطيبي : هذا الحصر لطيف جداً لأنها أخبرت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختباره =

وروى الترمذي والنسائي وابن عدي والإسماعيلي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ جالساً ، فسمعنا لفظاً وصوت صبيان ، فقام رسول الله ﷺ ، فإذا الحبيشة يزفنون<sup>(١)</sup> ويلعبون بحرابهم في المسجد والصبيان حولهم ، فقال : « يا عائشة تعالى فانظري » .

وفي رواية النسائي : « يا حُميراء أتحيين أن تنظري إليهم ؟ » فقلت : نعم ، فوضعتُ خدي على منكب رسول الله ﷺ وهو يسترنني برذائه ، فجعلت أنظر بين المنكب إلى رأسه ، فجعل يقول : « يا عائشة أما شبعت أما شبعت ؟ » وفي رواية : « حسبك » .

قلت : يا رسول الله لا تعجل . فقام ثم قال : « حسبك » . قلت : لا تعجل يا رسول الله ؛ إني أحب النظر إليهم .

تقول عائشة : قد بلغت القصد من النظر إليهم ، ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه . وفي لفظ : فأقول لا . لأنظر منزلتى عنده . ولقد رأيتَه يزواج بين قدميه ، إذ طلع عمر فارقُض الناس عنهم والصبيان ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر »<sup>(٢)</sup> .

وروى البرقاني عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ ، وعندني

= لا تغير عن المحبة المستقرة فهو كما قيل :

إني لأمنحك الصدود وإنني قُسماً إليك مع الصدود لأميل  
وقال ابن المنير : مرادها أنها كانت تنزك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته  
الكريمة مودة ومحبة ، وفي اختيار عائشة ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره من  
الأنبياء دلالة على مزيد فطنتها ؛ لأن النبي ﷺ أولى الناس به كما نص عليه القرآن ، فلما  
لم يكن لها بد من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسيل ؛ حتى لا تخرج عن دائرة  
التعلق في الجملة .

فتح الباري (١٠/٤٠٨، ٤٠٩) .

(١) يزفنون : أصل الزفن : اللعب والدفع ، ويزفنون يرقصون .

النهاية في غريب الحديث [٣٠٥/٢] .

(٢) روى النسائي في المجتبى [١٥٩٤-١٥٩٦] مختصراً ، والترمذي [٣٦٩١] ، وصححه

الألباني في صحيح النسائي [١٥٠٣-١٥٠٥] .

جاريثان تغنيان بغناء بُعَاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ ! فأقبل عليه ، عليه الصلاة والسلام فقال : « دعها » . فلمَّا غفل غمزتهما فخرجتا . وقالت : كان يوم عيد تلعب السودان بالدف والحراب . . . إلى آخر الحديث الأول<sup>(١)</sup> .

وروى النسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : زارتنا سودة يوماً ، فجلس عليه الصلاة والسلام بيني وبينها ، إحدى رجله في حجرى والأخرى في حجرها ، فحملتُ له حريرة - أو قالت خزيرة فقلتُ : كُلِّي ، فأبث ، فقلتُ كُلِّي أو لألطحنُ وجهك ، فأبث ، فأخذتُ من القصة شيئاً فلطختُ به وجهها ، فضحك رسول الله ﷺ ورفع رجله عن حجرها لتبعد مني وقال : « الطخي وجهها » . فأخذتُ من القصة شيئاً ولطختُ به وجهي ، ورسول الله ﷺ يضحك<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن أبي شيبة عن قيس بن وهب قال : قلت لعائشة أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ . قالت : أو ما تقرأ القرآن ﴿ وَاللَّهُ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [القم : ٤] . قالت : جاءني عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فصنعت لهم طعاماً ، وصنعت له حفصة طعاماً ، فسبقني حفصة ، فقلت للجارية انطلقني فاكفني قصعتها . فلحقتها وقد هوت أن تضع بين يديه عليه الصلاة والسلام فكفأتها ، فانكسرت القصة وانثر الطعام ، فجمعها رسول الله ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض ، وبعث بقصعتي فدفعها إلى حفصة فقال : « ظرفا مكان ظرف » .

قالت : فما رأيت في وجهه تغيراً .

(١) أخرجه مسلم [١٩/٨٩٢] بلفظ : « دعهما » . والسودان : جمع أسود وهو جيل من الناس سود البشرة ، واحده والنسبة إليه سوداني .

. المعجم الوسيط [١/١٦٠] .

(٢) رواه النسائي في الكبرى [٢٩١/٥] .

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم [١٣٩/٧٤٦] من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها .

وروى النسائي عن أم سلمة : أنها أتت بطعام في صحفة لها <sup>(١)</sup> .  
 وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن الله عز وجل أنزل  
 الخباز ، فبدأ بعائشة وقال : « إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلني فيه حتى  
 يأتي أبو بكر » . قالت : ما هو ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا  
 لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا** ﴾ [الأحزاب : ٢٨] إلى آخر الآية ،  
 فقالت : أفبك أستأمر أبي ؟ بل أختار الله ورسوله <sup>(٢)</sup> .

وروى أبو طاهر عن الشعبي والطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن  
 الحارث ابن المصطلق قال : بعث زياد بن أمية مع عمرو بن الحارث بهدايا  
 وأموال إلى أمهات المؤمنين ، ففضل عائشة عليهن ، فجعل رسوله يعتذر إلى  
 أم سلمة ، وصفية ، فقلن : يعتذر إلينا زياد ، فقد كان يفضلها من كان  
 أعظم علينا تفضيلاً من زياد ، رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> .

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : فُضِّلْتُ على  
 نساء النبي ﷺ بخصالٍ عشر . قيل : وما هن يا أم المؤمنين ؟ قالت : لم  
 ينكح بكراً غيري ، ولم ينكح امرأة أبوها مهاجر غيري ، وأنزل الله براءتي من  
 السماء ، وجاءه جبريل بصورتني من السماء في حريرة وقال : تزوجها فإنها  
 امرأتك ، وكنت اغتسل أنا وهو من إناء واحد ، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من  
 نسائه ، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، وكان ينزل عليه الوحي وهو  
 معي ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه ، وقبضه الله وهو بين  
 سحري ونحري ، ودفن في بيتي ، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه <sup>(٤)</sup> .

(١) روى النسائي في المحتى [٣٩٥٦] ، عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها : أنها أتت بطعام  
 في صحفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فجاءت عائشة مشيرة بكساءٍ ومعها فهر  
 ففلقت به الصحفة . فجمع النبي ﷺ بين فلتى الصحفة وقال : « كلوا ، غارت أمكم »  
 مرتين . ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة ، وأعطى صحفة  
 أم سلمة لعائشة . وصححه الألباني في صحيح النسائي [٣٦٩٣] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٢ / ١٤٧٥] .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط [٢٦٥١] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤٥ / ٩] وقال :  
 رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٦٣ / ٨] .

وروى الترمذي وصححه ، وابن أبي خيثمة عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : ما أشكل أمر علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً<sup>(١)</sup> .

وروى الطبراني عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال : « لو جمع نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبي ﷺ كان علم عائشة أكثر من علمهن »<sup>(٢)</sup> .

وروى الحاكم بسند حسن عن مسروق أنه : كان يحلف بالله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله يسألون عائشة عن الفرائض<sup>(٣)</sup> .

وروى الطبراني عن موسى بن طلحة : ما رأيت أحداً كان أفصح من عائشة<sup>(٤)</sup> .

وروى أبو عمرو وابن عساكر عن عمرو بن الزبير قال : ما رأيت أحداً أعرف بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقير ولا بطيب ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة<sup>(٥)</sup> .

وروى عن عمرو وقد قيل له : ما أرواك - وكان أروى الناس للشعر - فقال : ما روايتي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً .

وروى الإمام أحمد عن عمرو أيضاً أنه كان يقول لعائشة : يا أماء لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم - أو من أعلم - الناس بأيام العرب وأنسائها ، ولكن أعجب من علمك بالطلب كيف هو

(١) رواه الترمذي [٣٨٨٣] وصححه ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي [٣٠٤٤] .

(٢) رواه الطبراني في الكبير [٢٣/٢٩٩] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٤٦] : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله ثقة .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک [٤/١١] وسكت عنه ، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٤) رواه الطبراني في الكبير [٢٣/٢٩٢] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٤٦] : رجاله رجال الصحيح .

(٥) رواه الطبراني في الكبير [٢٣/٢٩٤] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٤٦] وقال : رواه الطبراني بإسناد الذي قبله .

وأيمن هو؟ فضربت على منكبه ، وقالت : أي عُزَيَّةُ - تصغير عروة - إن رسول الله ﷺ كان يسقم - وفي لفظ كثرت أسقامه آخر عمره - فكانت تَقْدُمُ عليه وفود العرب من كل وجه ، فكانت تُنَعِثُ له الألعاق ، وكنت أعالجها ، فمن ثمة<sup>(١)</sup> .

وروى الحاكم وأبو عمرو وابن الجوزي عن الزهري قال : لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج رسول الله ﷺ لكانت عائشة أوسعهم علماً<sup>(٢)</sup> .

وروى الإمام أحمد في الزهد والحاكم عن الأحنف بن قيس قال : سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والخلفاء وهلم جزاً ، فما سمعت لكلام مخلوق منهم أفخم ولا أحسن من في عائشة<sup>(٣)</sup> .

وروى ابن أبي خيثمة عن سفيان بن عيينة قال : قال معاوية بن أبي سفيان : يا زياد ، أي الناس أعلم؟ قال : أنت يا أمير المؤمنين . قال : أعزم عليك . قال : أما إذا عزمت عليّ فعائشة .

وروى البلاذري عن القاسم بن محمد قال : كانت عائشة قد استقلت بالفتوى زمن أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جزاً إلى أن ماتت . وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كنت أدخل البيت الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ وأبي واضعةً ثوبي عني وأقول : إنما هما زوجي وأبي ، فلما دُفِنَ عمر والله ما دخلته إلا مشدودة عليّ ثيابي حياة من عمر .

وروى أبو يعلى وأبو الشيخ وابن حبان وسنده حسن عن عائشة قالت : كان متاعي فيه خفة ، وكان عليّ جميل فارجح . وكان متاع صفيّة فيه ثقل وكان

(١) رواه أحمد في المسند [٦٧/٦] ، والطبراني في الكبير [٢٣/٢٩٥] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٤٥] : فيه عبد الله بن معاوية الزبيري ، قال أبو حاتم : مستقيم الحديث وفيه ضعف ، وفيه رجال أحمد والطبراني في الكبير ثقة ، إلا أن أحمد قال : عن هشام بن عروة أن عروة كان يقول لعائشة ، فظاهره الانتفاع .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک [٤/١١] وسكت عنه ، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک [٤/١١] وسكت عنه .

على جملٍ ثقالٍ بطيء ، فقال رسول الله ﷺ : « حولوا متاع عائشة على جملٍ صفيّة ، وحولوا متاع صفيّة على جملٍ عائشة » .

فلما رأيت ذلك قلت : يا لعباد الله ، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : « يا أم عبد الله إن متاعك فيه خف ومتاع صفيّة فيه ثقل فأبسطا بالركب ، فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها » .

فقالت عائشة : ألسنت تزعم أنك رسول الله ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « أو فيّ شك ؟ »

فقلت : ألسنت تزعم أنك رسول الله ، فهلا عدلت ؟ فسمعني أبو بكر وكان فيه عُرْب - أي حدة - فأقبل عليّ ولطم وجهي .

فقال رسول الله ﷺ : « مهلاً يا أبا بكر » .

فقال : يا رسول الله أما سمعت ما قالت ؟

فقال رسول الله ﷺ : « إنّ الغيرة لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه أبو يعلى [٤٦٧٠] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٣٢٥/٤] : فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس ، وسلمة بن الفضل وقد وثقه جماعة : ابن معين وابن حبان وأبو حاتم ، وضعفه جماعة . وبقية رجاله رجال الصحيح . وقد رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الأمثال وليس فيه غير أسامة بن زيد الليثي وهو من رجال الصحيح وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقة ، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية [١٦١٥] لأبي يعلى ، وقال البوصيري [٤/٣٠٩/رقم : ٢٨٧٩] : رواه أبو يعلى : بسند ضعيف لتدليس ابن إسحاق .

## حديث الإفك<sup>(١)</sup>

(١) لم تسلم الصديقة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما في عهده ﷺ من كيد المنافقين والحساد<sup>(٢)</sup> ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول ، المشهور بين أصحابه وخصومه بالكذب والشقاق والبغض لرسول الله ﷺ ودعوته ؛ ولذلك كان يخلو بأعداء الإسلام ويؤذيهم على المسلمين ؛ ويسول لهم قتل النبي ﷺ ويوغر صدورهم على الدين الجديد والمتشين إليه .

كل هذا - والله أعلم - لأنه أضعاف الملك والتاج بظهور الإسلام ، فلا عجب أن يكون له غرض في ترويح حديث الإفك واتخاذة مطعناً في الإسلام من وراء الطعن في كرامة نبي الإسلام وزوجته الطاهرة أم المؤمنين ، وإن غرض ابن سلول هذا هو بعينه غرض كل منسب حديث الإفك إلى يومنا هذا . . اتهام امرأة بريئة ظاهرة لا ذنب لها إلا أنها زوج نبي يريدون التشكيك برسالته<sup>(٣)</sup> .

ولترك حديث الناس لسمع حديث أم المؤمنين عائشة نفسها وهي تقص علينا ما حدث . قالت رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه ، فأبْتَهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فانا أحمل في هودجي وأنزل فيه . فسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته<sup>(٤)</sup> تلك وقفل ودفنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل ، فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي ، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع ، فالتصت عقدي وحسني ابتعازه .

وأقبل الرهط الذين كانوا يزحلون لي فاحتملوا هودجي ، فزحلوا على بعيري الذي كنت ركبته وهم يحسبون أنني فيه .

(١) في موكب السيرة [ ص : ٣٦ ] .

(٢) نساء حول الرسول [ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ] .

(٣) قال الذهبي : كان في غزوة الخيبر ، سنة خمس من الهجرة ، وغمرها رضي الله تعالى عنها اثنتا عشرة سنة . سير أعلام النبلاء [ ١٥٣ / ٢ ] .

وكان النساء إذ ذاك جفاً لم يُغَيَّهُنَّ اللحم ، إنما تأكل العُلُقَةَ من الطعام ، فلم يستنكر القوم حفة الهَوْدَج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الحمل ومازوا . فوجدت جفدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها قاع ولا مُجِيب . فأمننت منزلي الذي كُنْتُ بِهِ ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي .

فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المُعْطَلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ من وراء الجيش ، فأذلج ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرَّفني حين رأني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أتاه راحلته فوطئ على يديها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مؤخرين في نحر الظهر .

فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفاك عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة ، فاشتكت حين قدمت شهراً ، والناس يُغِيضُونَ في قول أصحاب الإفاك ، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يُرِينِي في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيقول : « كيف تبيحكم » ، ثم ينصرف ، فذاك الذي يريني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعدما تعهت فخرجت معي أم بسطح قبل المنامع ، وهو شبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكُفَّ قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في الشبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذي بالكُفَّ أن نتخذها عند بيوتنا . فانطلقت أنا وأم بسطح وهي ابنة أبي زهم ابن عبد مناف ، وأما بنت صخر بن عامر حائلة أبي بكر الصديق ، وابنها بسطح ابن أخته فأقبلت أنا وأم بسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أم بسطح في مبرطها ، فقالت : تعس بسطح ، فقلت لها : بش ما قلت ، أتسيين رجلاً شهد بدرأ ؟

قالت أي فتاة ، أولم تسمعي ما قال ؟

قالت قلت : وما قال ؟

قالت : فأخبرني بقول أهل الإفاك ، فازددت مرضاً على مرضي .

قالت : فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله ﷺ - تعني سلم - ثم قال : « كيف تبيحكم » ؟

فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي .

قالت : وأنا حيثد أريد أن استيقن الخير من قبلهما .

قالت فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبوي ، فقلت لامي : يا أمته ما يتحدث الناس ؟

قالت : يا بنية هوني عليك ، فوالله لقدما كانت امرأة قط وضينة عند رجل يُحبُّها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها .

قالت فقلت : سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ؟  
 قالت : فيكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت  
 أبكي ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما حين  
 استلبت الوحي يتأمرهما في قرأت آله <sup>(١)</sup> .

قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي  
 يعلم لهم في نفسه من الود فقال : يا رسول الله ، أهلك ، وما تعلم إلا خيراً .  
 وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ، لم يُصَيِّب الله عليك والنساء سواها كثير ،  
 وإن تسأل الجارية تُصدِّقك .

قالت : فدعا رسول الله ﷺ بربيرة ، فقال : « أي بربيرة هل رأيت من شيء يربئك ؟ »  
 قالت بربيرة : لا ، والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها امرأة اغيضة عليها أكثر من أنها  
 جارية حديثة السن تام عن عجبين أهلها فتأني الداجن فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول .  
 قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من  
 رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً  
 ما علمت عليه إلا خيراً . وما كان يدخل على أهلي إلا معي » .

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس  
 ضربت عُقْلُهُ ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

قالت : فقام سعد بن عبيدة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن  
 احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعنمُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد  
 بن خضير وهو ابن عم سعد ، فقال لسعد بن عبيدة : كذبت لعنمُ الله لثقتله ، فإنك  
 منافق تجادل عن المنافقين . فتناور العحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا  
 ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتى سكثوا  
 وسكث .

قالت : فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم .

(١) قال السيوطي في كتابه : فطفت الشعر في موافقات عمر :

وآية في النور هذا بهتان وآية فيها بها الاستئذان

قال الشارح : قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : لما استلبت الوحي عن رسول الله ﷺ ولم ينزل ، أشار  
 رسول الله ﷺ ببعض أصحابه .

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : من زوجها لك يا رسول الله ؟  
 قال ﷺ : الله تعالى .

قال عمر : أفتظن أن الله دلس عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

قالت : فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يُظفان أن البكاء فالقُ كبدى .

قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكى معي .

قالت : فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس .

قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يُوحى إليه في شأني

قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : « أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ونوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته فلقص دمعي حتى ما أجسُ من قطرة ، فقلت لأبي أحب رسول الله ﷺ فيما قال : قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلتن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أنني بريئة لا تُصدقونني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنني منه بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ **مَسْرُومٌ جَبَلٌ وَاللَّهُ الشَّامِتُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ [ يوسف : ١٨ ] .

قالت : ثم تحولت ، فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله يبرئني ببرائتي ، ولكن والله ما كنت أظن الله مُنزلاً في شأني وحياً ينزلني ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ينزلني ، ولكن كنت أرجو أن يورى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني الله بها .

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليّ ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاح ، حتى إنه ليضخخض منه مثل الحمام من العرق ، وهو في يوم شابت من يغلي القول الذي يُنزل عليه .

قالت : فلما سُري عن رسول الله ﷺ سُري عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك » . فقالت أمي : قومي إليه .

قالت : فضلت والله لا أقومُ إليه ، ولا أحمدُ إلا الله عز وجل . وأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْبَغْيِ فَسَبَّوْهُ سَبًّا لَا يَتُوبُونَ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ كَلِمَةٍ** ﴾ [ النور : ١١ ] العشر الآيات كلها .

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه - وكان يُلقبُ على منطبخ بين ثلاثة لقرابته منه وقره - : والله لا أنفخُ على سطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فإنزل الله : ﴿ **وَلَا يَأْتِيَنَّ أُولَئِكَ الْفَضْلُ بَكْرًا وَأَشْعَوْنَ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَاللَّهُ جَوِيدٌ فِي سَبِيلِ**

﴿ [ النور : ٢٢ ] ﴾ . قال أبو بكر : بلى والله ، إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يُنفقُ عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت يا رسول الله : أخمي ضمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً . قالت وهي التي كانت تُساميني من أزواج رسول الله ﷺ فَعَضَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفَقَتْ أختها حَمْنَةُ تُعَارِبُ لَهَا ، فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِقْلَ .

أخرجه البخاري (٤٧٥٠) .

وقال الحافظ ابن حجر : وفي هذا الحديث مشروعية الفرقة حتى بين النساء وفي المسافرة بهن والسفر بالنساء حتى في الغزو ، وجواز حكاية ما وقع للمرأة من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس ، إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكس إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك ، لئلا يقع فيما وقع فيه من سب ، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم وتحصيل الأجر للموفق فيه .

وفيه استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام ، وأن اليهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة ، وجواز ركوب المرأة اليهودج على ظهر البعير ولو كان ذلك مما يشق عليه حيث يكون مطيقاً لذلك .

وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجاب ، وجواز تسفر المرأة بالشئ المنفصل عن البدن ، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدها وبغير إذن خاص من زوجها بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام ، وجواز تحلى المرأة في السفر بالقلادة ونحوها ، وصيانة المال ولو قُبلَ للنهي عن إضاعة المال ، فإنَّ عَئِدَ عائشة لم يكن من ذهب ولا حوهر ، وفيه شؤم الحرص على المال ، لأنها لو لم تُنطَل في التفقيش لرجعت بسرعة فلما زاه على قدر الحاجة أثر ما جرى . وقريب منه قصة المتخاصمين حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما فلأنهما لم يقتصرا على ما لا يدُّ منه بل زادا في الخصام حتى ارتفعت أصواتهما فأثر ذلك بالرفع المذكور ، وتوقف رحيل العسكر على إذن الأمير ، واستعمال بعض الجيش ساقية يكون أميناً ليحمل الضميف ويحفظ ما يسقط وغير ذلك من المصالح ، والاسترجاع عند المصيبة ، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي وإطلاق النظر على العلم ، كذا قيل وفيه نظر قدمته . وإغاثة الملهوف ، وعاون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوى القدر وإيثارهم بالركوب ونجس المشقة لأجل ذلك ، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة ، والمشى أمام المرأة ليستفر خاطرها وتأميناً مما يتوهم من نظره لما عساه يتكشف منها في حركة المشى .

وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها ، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضى النقص .

وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعتذر أو تعترف ، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي باطله لئلا يزيد ذلك في مرضه .

وفيه السؤال عن المريض وإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة ، فإذا كان السبب محققاً فبتروك أصلاً ، وإن كان مظلوناً فيخفف ، وإن كان مشكوراً فيه أو محتملاً فيحسن التقليل منه لا للعمل بما قيل ، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه ، لأن ذلك من خوارم العروءة .

وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها . وفيه ذم المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل ، وردع من يؤفهم ولو كان منهم بسبيل ، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر وإطلاق السب على لفظ الدعاء بالسوء على الشخص .

وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحته وفساده بالثقیب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبهه أو يقرب منه واستصحاب حال من اتهم بسوءه إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك .

وفيه فضيلة قوية لأم مسطح لأنها لم نحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة ، بل تعدت سبه على ذلك .

وفيه تقوية لأحد الاحتمالين في قوله ﷺ عن أهل بدر : « إن الله قال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »<sup>(١)</sup> ، وأن الراجح أن المراد بذلك أن الذنوب تقع منهم لكنها مقرونة بالمغفرة ، تفضيلاً لهم على غيرهم بسبب ذلك المشهد العظيم ، ومرجوحية القول الآخر أن المراد أن الله تعالى عصمهم فلا يقع منهم ذنب ، نبه على ذلك الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة نفع الله به .

وفيه مشروعية التسيب عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب ، وتوجيهه هنا أنه سبحانه وتعالى ينزه أن يحصل لقراءة رسول الله ﷺ تدنيس ، فيشرع شكره بالتنزيه في مثل هذا ، نبه عليه أبو بكر بن العربي .

وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى بيت أبيها .

وفيه البحث عن الأمر المقبول ممن يدل عليه المقول فيه ، والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً ، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين ، وأن خير الواحد إذا جاء شيئاً بعد شئ أفاد القطع لقول عائشة : « لأستيقن الخير من قبلهما » وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين .

وفيه استشارة المرء أهل بطنه ممن يلوذ به بقراءة وغيرها ، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب ، والبحث عن حال من اتهم بشئ ، وحكاية ذلك =

(١) أخرجه البخاري [٣٠٨١] ، ومسلم [٢٤٩٤/١٦١] .

للكشف عن أمره ولا يعد ذلك غيبية .

وفيه استعمال : « لا نعلم إلا خيراً » في التزكية ، وأن ذلك كافٍ في حق من سقت عدالتك ممن يطلع على خفي أمره .

وفيه التثبت في الشهادة ، وفطنة الإمام عند الحادث المهم ، والاستنصار بالأخصاء على الأجانب ، وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب به أو العتاب له ، واستشارة الأعلى لمن هو دونه ، واستخدام من ليس في الرق ، وأن من استفسر عن حال شخص فأراد بيان ما فيه من عيب فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلمه ، كما قالت بريدة في عائشة : حيث غابها بالنوم عن العجين فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن .

وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي ؛ لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي ، نبه عليه الشيخ أبو محمد بن أبي جصرة نفع الله به . وأن الحمية لله ورسوله لا تُدم .

وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح ، وجواز سب من يتعرض للباطل ونسبه إلى ما يسوءه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه ، لكن إذا وقع منه ما يشبه ذلك جاز إطلاق ذلك عليه تغليظاً له ، وإطلاق الكذب على الخطأ ، والقسم بلفظ لعمر الله .

وفيه التنبه لقطع الخصومة ، ونسكين فائرة الفتنة ، وسد ذريعة ذلك ، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما ، وفضل احتمال الأذى .

وفيه مباحة من خالف الرسول ولو كان قريباً حسيماً .

وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل ؛ لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ .

وفيه مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن .

وفيه تثبت أبي بكر الصديق في الأمور ؛ لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمة لما فوقها ، إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال : « والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية ، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام » وقع ذلك في حديث ابن عمر عند الطبراني .

وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالشهد والحمد والثناء وقول أما بعد ، وتوقيف من نقل عنه ذنب على ما قيل فيه بعد البحث عنه ، وأن قول كذا وكذا يكفي بها عن الأحوال كما يكفي بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد .

وفيه مشروعية التوبة وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص ، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها ، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو عرف أنه يصدق في ذلك ، ولا يواخذ على ما يترتب على اعترافه ، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت ، وأن الصبر نحمد عاقبه ويغبط صاحبه .

وفيه تقديم الكبير في الكلام وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام .

وفيه تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة .

وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك ، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه ، وإدلال المرأة على زوجها وأبويها ، وتدريج من وقع في مصيبة فزالته عنه لتلا بهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي براءة عائشة بالضحك ثم تشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ثم تلاوته الآيات على وجهها . وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يُمكن من المبالغة في الري من الماء ؛ لتلا بفضي به ذلك إلى الهلكة بل يجرع قليلاً قليلاً .

وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج ، وفضل من يفوض الأمر لربه ، وأن متقوي على ذلك خف عنه الهم والغم ، كما وقع في حالتي عائشة قبل استفسارها عن حالها وبعد جوابها بقوله : والله المستعان .

وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم ، ووقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفيح عنه ، وأن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحنث ، وجواز الاستشهاد بأبي القرآن في التوازل ، والتأسي بما وقع للاكابر من الأنبياء وغيرهم .

وفيه التسيب عند التعجب واستعظام الأمر ، وذم الغيبة وذم سماعها وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه ، وذم إشاعة الفاحشة ، وتحريم الشك في براءة عائشة .

وفيه تأخير الحد عن يخشى من إيقاعه به الفتنة .

فتح الباري [٤٢١/٩-٤٢٤] .

وانتصرت عائشة في حديث الإفك وبرأها الله تعالى مما قالوا بالقرآن . وقدرت عائشة هذا الانتصار حق قدره ، وآبت إلى بيتها أوبة الظافر المتين .

وظلت أعواماً مع رسول الله ﷺ في نعمة وسعادة وسرور . ينزل الوحي من الله في بيتها . ويفرئها جبريل السلام ويحبها رسول الله ﷺ ويعظمها المسلمون .

وكان لها بعد رسول الله ﷺ عزاء في إيمانها ، وأن النبي دفن في بيتها بعدما أراد أن يكون مرضه عندها <sup>(١)</sup> .



(١) في تركيب السيرة [ ص : ٣٧ ] .

## وقعة الجمل

لبث عائشة بعد الشَّيْءِ ﷺ نحواً من خمسين سنة كانت فيها كعبة أهل المدينة ومقصد جميع المسلمين والكل يقدر مكانتها من رسول الله ﷺ ، ويستير أهل العلم بما لها من فقه وحديث ، ويتقوى أهل الرأي بشورتها ويحرص ذو الحكم على تأييدها وعلى اكتساب نفوذها ، فكانت حقاً زعيمة أمهات المؤمنين .

وتأبى أن لا تعطي لمنصبتها مدلوله في كل ميدان ، وهذا ما يفسر لنا ما حملها على تدخلها العنيف في مشاجرة المسلمين . . . وقيل إنها ترددت قبل أن تذهب إلى البصرة وأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لم يزل بها يفتل في الذروة والغارب حتى ذهب بها<sup>(١)</sup> .

قال الذهبي : لما قُتِل عثمان ضيراً ، سَقَطَ في أيدي أصحاب النبي ﷺ وياجروا علياً ، ثم إن طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وأم المؤمنين عائشة ، ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من ثوابهم في نصرة عثمان ، إلا أن يقوموا في الطلب بدمه ، والأخذ بشاره من قتلته فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين علي ، وطلبوا البصرة .

قال خليفة<sup>(٢)</sup> : قدم طلحة ، والزبير ، وعائشة البصرة ، وبها عثمان بن حنيف الأنصاري والياً لعلي ، فخاف وخرج عنها . ثم سار علي من المدينة ، بعد أن استعمل عليها سهل ابن حنيف أخا عثمان ، وبعث ابنه الحسن ، وعمار بن ياسر إلى الكوفة بين يديه يستفران الناس ، ثم إنه وصل إلى البصرة .

وكان قد خرج منها قبل قدومه إليها حُكَيْم بن خليفة العنبري في سبع مئة ، وهو أحد الرؤوس الذين خرجوا على عثمان كما سلف ، فالتقى هو وجيش طلحة والزبير ، فقتل الله حُكَيْمًا في طائفة من قومه ، وقتل مقدم جيش الآخرين أيضاً نجاشع بن مسعود السلميّ . ثم اصطلحت الفتنان ، وكفروا عن القتال ، على أن يكون لعثمان بن حنيف دار الإمارة والصلاة ، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاء من البصرة ، حتى يقدم علي رضي الله تعالى عنه .

(١) في موكب السيرة [٣٨] .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط [١٠٨] .

وقال عمار لأهل الكوفة : أما والله إنني لأعلمن أيتها - يعني عائشة - زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتنبهونه أو إياها<sup>(١)</sup> .

قال سعد بن إبراهيم الزُّهري<sup>(٢)</sup> : حدثني رجلٌ من أسلم ، قال : كنا مع عليٍّ أربعة آلاف من أهل المدينة .

وقال سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup> : كان مع عليٍّ يوم وقعة الجمل ثمان مئة من الأنصار ، وأربع مئة ممن شهد بيعة الرضوان ، رواه جعفر بن أبي الصغيرة ، عن سعيد .

وقال المطلب بن زياد ، عن السُّدِّي : شهد مع عليٍّ يوم الجمل مئة وثلاثون بذوياً وسبع مئة من أصحاب النبي ﷺ ، وقُتل بينهما ثلاثون ألفاً ، لم تكن مقتلة أعظم منها .

وكان الشعبيُّ يببالغ ويقول : لم يشهدا إلا عليٌّ ، وعمار ، وطلحة ، والزبير من الصحابة .

وقال سلمة بن كهيل<sup>(٤)</sup> : فخرج من الكوفة مئة ألف ، فقدموا على عليٍّ بذي قار ، فسار في نحو عشرة آلاف ، حتى أتى البصرة<sup>(٥)</sup> .

وقال أبو عبيدة : كان على خيل عليٍّ يوم الجمل عمار ، وعلى الرُّحالة محمد بن أبي بكر الضُّدِّي ، وعلبالمُنينة علقم بن الهيثم السُّدوسي ، ويقال : عبد الله بن جعفر ، ويقال :

الحسن بن علي ، وعلى المتبصرة الحسين بن علي ، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس ، ودفع اللواء إلى ابنه محمد بن الحنفية .

وكان لواء طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن جزام ، وعلى الخيل طلحة ، وعلى الرُّحالة عبد الله بن الزبير ، وعلى المنينة عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وعلى المتبصرة

مروان بن الحَكَم . وكانت الوقعة يوم الجمعة ، خارج البصرة ، عند قصر عبيد الله بن زياد .

قال الألبان بن سعد ، وغيره : كانت وقعة الجمل في جمادى الأولى .

وقال أبو اليُفُفَّان<sup>(٦)</sup> : خرج يومئذ كعب بن سُرَّة الأزدي في عُنقه المُصْحَف ، ومعهُ بَرَسٌ ، فأخذ بخطام جمل عائشة ، فجاءه سهم غرب فقتله .

قال محمد بن سعد<sup>(٧)</sup> : وكان كعب قد طَلَّقَ عليه بيتاً ، وجعل أیه كُوءةً يشاؤول منها طعامه .

(١) تاريخ خليفة بن خياط [١١٠] .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط [١١٠] .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط [١١٠] .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط [١١٠] .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط [١١٠] .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط [١١١] .

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٧/٩٢-٩٣] .

وشرا به اعتباراً للفتنة ، فقبل لعائشة ؛ إذ خرج معك لم يتخلف من الأزد أحدٌ ، فركبت إليه فنادته وكلمته فلم يجبها ، فقالت : ألسُ أمك ؟ ولي عليك حتى ، فكلمها ، فقالت : إنَّما أريد أن أصلح بين الناس . فذلك حين خرج ونشر المصحف ، ومضى بين الطرفين يدعوهم إلى ما فيه ، فجاءه سهم فقتله .

وقال خُصَيْنُ بن عبد الرحمن : قام كعب بن زور فنشر مصحفاً بين الفريقين ، ونشدهم الله والإسلام في دماهم ، فما زال حتى قُتل<sup>(١)</sup> .

وقال غيره : اصطف الفريقان ، وليس لطلحة ولا لعليٍّ رأسى الفريقين قصد في القتال ، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة .

فترامى أوباش الطائفتين بالثبل ، وشبت ناز الحرب ، وثارت النفوس ، وبقي طلحة يقول : « أيها الناس أنصتوا » ، والفتنة تغلي ، فقال : أف فرائس النار ، وذئاب طمع ، وقال : اللَّهُمَّ خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى ، إنا دأبنا في أمر عثمان ، كُنَّا أمس بدأ على من سوانا ، وأصبحنا اليوم جبليين من حديد ، يزحف أحدنا إلى صاحبه ، ولكنه كان مني في أمر عثمان ما لا أرى كفارته ، إلا بسفك دمي ، ويطلب دمه .

فروى قتادة ، عن الجارود بن أبي سيرة الهذلي ، قال : نظر مروان بن الحكم إلى طلحة يوم الجمل ، فقال : لا أطلبُ ثأري بعد اليوم ، فرمى طلحة بسهم فقتله<sup>(٢)</sup> . وقال قيس بن أبي حازم : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم ، فوقع في ركبته ، فما زال يسمع<sup>(٣)</sup> حتى مات . وفي بعض طوَّقه : رماه بسهم ، وقال : هذا معن أعان على عثمان<sup>(٤)</sup> .

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عمه ، أن مروان رمى طلحة ، والنفت إلى أبان ابن عثمان ، وقال : قد كفيك بعض قتلة أبيك<sup>(٥)</sup> .

وروى زيد بن أبي أنيسة ، عن رجل ، أن عليًّا قال : بشروا قاتل طلحة بالنار<sup>(٦)</sup> . وعن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرجنا مع عليٍّ إلى الجمل في ست مئة رجل ، فسلطنا على طريق الرينة ، فقام إليه ابنه الحسن ، فبكى بين يديه وقال : ائذن لي فأتكلم ،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ، وخليفة في التاريخ [١١١] عن حصين ، عن عمرو ابن

جاوان ، عن الأحنف بن قيس .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط [٢١١] .

(٣) السُّحُ : الصب والسيلان .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢٢٣/٣] .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط [١١١] .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢٢٥/٣] عن زيد بن أبي أنيسة ، عن محمد الأنصاري ، عن

أبيه .

فقال : تكلم ، ودع عنك أن تجنّ حنين الجارية .

قال : لقد كنت أشرت عليك بالمقام ، وأنا أشيرُ عليك الآن ، إن للعرب جولة ، ولو قد رجعت إليها غوازب أحلامها ، لضربوا إليك أباط الإبل حتى يستخرجوك ، ولو كنت في مثل جحر الضب .

فقال عليّ : أتاني لا أبالك كنت منتظراً كما ينتظر الضب اللذم<sup>(١)</sup> ، ورؤى نحوه من وجهين آخرين .

رؤف بن عبادة ، قال : حدثنا أبو نعام العدوي ، قال : حدثنا حميد بن هلال ، عن حجير بن الربيع أن عمران بن حُضَيْن أرسله إلى بني عدى أن اتهم ، فأناهم ، فقال : بقرا عليكم السلام ، ويقول : إني لكم ناصح ، ويحلف بالله لأن يكون عبداً مجدعاً يرعى في رأس جبل حتى يموت أحب إليه من أن يرمي في واحد من الفريقين يسهم ، فأمسكوا فداكم أبي وأمي .

فقالوا : دعنا منك ، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ ، فغزوا يوم الجمل ، فقتل خلق حول عائشة يومئذ سبعون كلهم قد جمعوا القرآن ، ومن لم يجمع القرآن أكثر .

رواه الواقدي عن رجاله ، قال : كان يعلى بن مُثَنِي التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف عاملاً لعثمان على الجند ، فوافى الموسم عام قُتل عثمان .

وعن ابن أبي مُليكة ، قال : جاء يعلى بن أمية إلى عائشة وهي في الحج ، فقال : قد قُتل خليفتك الذي كنت تحرضين عليه . قالت : برئت إلى الله من قاتله .

وعن الواقدي ، عن الوليد بن عبد الله ، قال : قال يعلى بن أمية : أيها الناس ، من خرج يطلب بدم عثمان فعليّ جهازه .

وعن عليّ بن أبي سارة ، قال : قدم يعلى بأربعمائة ألف فأنفقها في جهازهم إلى البصرة . وعن غيره ، قال : حمل يعلى بن أمية عائشة على جملة عسكر ، وقال : هذه عشرة آلاف دينار من حر مالي أقوى بها من طلب بدم عثمان . فبلغ علياً ، فقال : من أين له ؟ سرق اليمن ثم جاء ! والله لئن قدرت عليه لأخذن ما أقر به .

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمّ له ، قال : لما كان يوم الجمل نادى عليّ في الناس : لا ترموا أحداً بسهم ، وكلّموا القوم ، فإن هذا مقام من فُلح فيه و فُلح يوم القيامة ، قال : فتوافقنا حتى أتناخُر الحديد ، ثم إن القوم نادوا بأجمعهم : « يا لثارات عثمان » ، قال : وابن الحُلَيفة أماننا رتوة<sup>(٢)</sup> معه اللواء ، فمدّ عليّ يديه ، وقال : اللهم =

(١) أي : لا أكون مثل الضب يضرب جحرها بحجر أو بغيره ، فتحسه شيئاً تصيده ، فتخرج لتأخذه ، فتصناده .

(٢) أي : خطوة .

أَكْبَتْ قَتْلَةَ عِثْمَانَ عَلَى ذُرَاهِمِهِمْ . ثُمَّ إِنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ لِأَسَاوِرَةٍ مَعَهُ : ارْمُوهُمْ وَلَا تَبْلُغُوا ، وَكَانَهُ إِثْمًا أَرَادَ أَنْ يَنْشِبَ الْقِتَالَ . فَلَمَّا نَظَرَ أَصْحَابَنَا إِلَى النَّشَابِ لَمْ يَنْتَظِرُوا أَنْ يَتَّعِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ . وَرَمَى مُرَوَّانٌ طَلْحَةَ بِسَهْمٍ فَشَكَ سَاقَهُ بِخَشَبٍ فَرَسَهُ .

وعن أبي حنيفة المازني ، قال : شهدت علياً والزبير حين تواقفا ، فقال له علي : يا زبير أشدك الله أنجنت رسول الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلني وأنت ظالمٌ لي » ؟ قال : نعم ولم أذكر إلا في موقفى هذا ، ثم انصرف . وقال الحسن البصرى ، عن قيس بن عباد ، قال : قال علي يوم الجمل : يا حسن ، ليت أباك مات منذ عشرين سنة . فقال له : يا أبت قد كنت أظنك عن هذا . قال : يا بني لم أر أن الأمر يبلغ هذا . وقال ابن سعد<sup>(١)</sup> : إن محمد بن طلحة تقدم فأخذ بخنطام الجمل ، فحمل عليه رجل ، فقال محمد : **أَذْكُرْكُمْ ﴿ حَم ﴾** فطعمته فقتله ، ثم قال في محمد :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| وأشعث قسوام بأبيات ربه       | قليل الأذى فيما ترى العين مسلم |
| مشكت له بالرمح جيب قميصه     | فخر ضريعاً للبيدين وللخمس      |
| يذكرني ﴿ حَم ﴾ والرمح شاجراً | فهلأتلا ﴿ حَم ﴾ قبل الشقذم     |
| على غير شيء غير أن ليس تابعا | علياً ومن لا يشجع الحق بندم    |

فسار علي ليلة في القتلى ، معه الثيران ، فمزى بمحمد بن طلحة قتيلاً ، فقال : يا حسن ، محمد الشجاع ورب الكعبة ، ثم قال : أبوه صرعه هذا المصروع ، ولولا بزة بأبيه ما خرج . فقال الحسن : ما كان أغناك عن هذا ! فقال : مالي وما لك يا حسن .

وقال شريك ، عن الأسود بن قيس : حدثني من رأى الزبير يوم الجمل ، ونداه علي : يا أبا عبد الله ، فأقبل حتى التفت أعناق دوابهما ، فقال : أنشدك بالله ، أتذكر يوم كنت أناجيك ، فأتانا الرسول ﷺ فقال : « نأجيه فوالله ليقاتلنك وهو لك ظالم »<sup>(٢)</sup> .

قال : فلم يعد أن سمع الحديث ، فضرب وخة دابته وانصرف .

وقال هلال بن خباب ، فيما رواه عنه أبو شهاب الحنط ، وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال يوم الجمل للزبير : يا ابن صفية ، هذه عائشة تملك طلحة ، فأنت علي ماذا تقاتل قريبك علياً ؟ فرجع الزبير ، فلفه ابن جرهم فقتله .

وقال يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : انصرف الزبير يوم الجمل عن علي ، وهم في المصاف ، فقال له ابنه عبد الله : جئنا جئنا ، فقال : قد علم الناس أنني لست بحبيبان ، ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ ، فحلفت أن =

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٥٤/٥-٥٥] . وانظر : تاريخ الطبري [٤/٥٢٦] .

(٢) إسناده ضعيف ، لجهالة من رأى الزبير ، كما أن شريك بن عبد الله النخعي ضعيف عند الأفراد .

لا أقتله ، ثم قال :

نزك الأمور التي أحس عواقبها في الله أحسن في الدنيا وفي الدين وكيع ، عن عصام بن قدامة - وهو ثقة - عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أبتكن صاحبة الجمل الأدب ، يُقتل حوالبها قتلى كثيرون ، وتنجو بعدما كادت »<sup>(١)</sup> .

وقيل : إن أول قتيل كان يومئذ مسلم الجهنمي ، أمره عليُّ فحمل مُضحفاً ، فطاف به على القوم يدعوهم إلى كتاب الله ، فقتل . وقطعت يومئذ سبعون بدأ من بني ضبة بالسيوف ، صار كلُّها أخذ رجل بخنجر الجمل الذي لعائشة ، فطغت يده ، فيقوم آخر مكانه ويترنجز ، إلى أن صرخ صارخ اعفروا الجمل ، فعقره رجلٌ مُختلفٌ في اسمه ، ويقني الجمل والهودج الذي عليه ، كأنه فُتدٌ من الثبل ، وكان اليهودج مُلبساً بالدرع ، وداخله أم المؤمنين ، وهي تُشجع الذين حول الجمل ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . ثم إنَّها رضي الله تعالى عنها ندمت ، وندم عليُّ رضي الله تعالى عنه لأجل ما وقع .  
سيرة الخلفاء الراشدين من سير أعلام النبلاء للدعي [٢٥٢: ٢٥٨] .

(١) الأدب : هو الكثير وبر الشعر ، والحديث رواه البزار في مجمع الزوائد [١٦٣٥- مختصر زوائد البزار] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٣٧/٧] وانظر السلسلة الصحيحة للالباني [٤٧٥] حديث الحوالب والتعليق عليه .

## كلمة عائشة يوم وقعة الجمل

في هذا الموقف الحرج ألفت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها كلمة قالت فيها :  
 أيها الناس ؟ صه صه . فكأنما قطعت الألسن في الأفواه فقالت : « إن لي عليكم حق  
 الأمومة وحرمة الموعظة . لا يتهمني إلا من عصي ربه ، ومات رسول الله ﷺ بين حياقتي  
 ودافنتي . وأنا إحدى نسائه في الجنة له ادخرني ربي . وسألني من كل بضع ، وبني ميز  
 بين منافقكم ومؤمنكم ، وبني رخص لكم في صعيد الإبراء ، ثم أبي ثالث ثلاثة من  
 المؤمنين وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وأول من سمي صديقاً ، مضى رسول الله ﷺ  
 راضياً عنه وطوقه طوق الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بظرفيه . وزين له  
 أفياءه ، فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفأ ما حش اليهود . وأنتم يرمض جحظ العيون  
 تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة ، فرأب الثاني وأودم العظلة وانتاش من المهواة واجتحي  
 دفين الداء حتى أعطي الوارد ، وأورد الصادر ، وعمل الناهل ، فقبضه الله واطنأ على  
 هامات النفاق ، مذكياً نار الحرب للمشركين ، وانظمت بضاعتكم بحبله .  
 ثم ذكرت نولية عمر بن الخطاب وأنت عليه خيراً وقالت : إنها ما جاءت تلتمس إنمأ  
 ولا لتدليس فتنة . وذكرت أن قولها كان صدقاً وعدلاً وإعذاراً .  
 ثم سألت الله أن يصلي على محمد وأن يخلفه في المسلمين بأفضل خلافة المرسلين .

## عودة عائشة

### رضي الله تعالى عنها إلى المدينة

ثم رجعت إلى المدينة وتقول بعض الروايات : أنها أسفت على ذهابها نحو البصرة . وقد بالغت بتقدير أسفها حتى قارنته بأسفها على أنها لم تنل من رسول الله ﷺ عشرة أولاد كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ولو رزقت عائشة من رسول الله ﷺ أولاداً لكان أمرهم أعظم بكثير من أمر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام <sup>(١)</sup> .

وتلقت عائشة بعد رجوعها إلى المدينة النصيحة والعتاب ، معارضة قوية ، فلم تفارقها ثقتها بنفسها ولا بمكانتها الخالدة ، وكانت تحجب لانميتها بالنشر إذا وجهوا إليها النشر ، وبالشعر إذا سمعت أنهم قالوا فيها شعراً . وقد بلغها أن الأحنف بن قيس خاطبها بأبيات قال فيها :

فلو كانت الأكمان دونك لم يجد عليك مقالاً ذو أذاة يقولها  
فقلت عائشة رضي الله تعالى عنها إلى كان يستجم ؟ إلى الله أشكو عقوق أبنائي ثم أجابته بقولها :

بني اتعظ إن المواعظ سهلة ويوشك أن تكثان وعراً سبيلها  
ولا تنسين في الله حق أمومتى فإنك أولى الناس أن لا تغفلها  
ولا تنطقن في أمة لي في الحنا حنيفية قد كان بعلى رسولها  
ونلاحظ في نصرفها وفي كلامها وشعرها تأكيدها لاعتزلتها من الأمة . فهي أم المؤمنين ولها عليهم جميعاً حق الأمومة ، ألا وهو البر والإكرام .

ثم اعتزلت الفتنة وقّرت في بيتها ، ولما سمعت بوفاة علي بن أبي طالب تمثلت بقول المعفر الباقلي :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيننا بالآباب المسافر <sup>(٢)</sup>

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤١/٧] وقال : رواه الطبراني وفيه أبو معشر نجيب وهو ضعيف يكتب حديثه ، وبقيّة رجاله ثقة .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٤٠/٣] .

وهي تعني أن علياً استراح من متاعب الناس وقدم إلى البر بالعجل المبرور . ولم يك هذا أول بيت تمثل به عائشة ؛ فإنها حين رأت أباه وهو في حالة الاحتضار أشدت قول خاتم الغلاني :

لعمرك ما يقني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر  
وقال لها أبو بكر : يخ يخ يا بنية هلا تلوت : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وهي  
فراءة رويت عن أبي بكر<sup>(١)</sup> .

وفي عهد معاوية تقدمت بمائشة السن ، وحسنتها التجارب ، وأسعفها علمها وذكاؤها ،  
فعاشرت حياة مظمنة سعيدة في بيتها ورسول الله ﷺ معها في البيت إلى أن التحقت به<sup>(٢)</sup> .  
أورد الذهبي : إن عائشة جعلت تقول : إن عثمان قتل مظلوماً وأنا أدعوكم إلى الطلب  
بدمه ، وإعادة الأمر شورى .

وقال : إن علياً وقف على خباء عائشة يلومها على سيرها . فقالت : يا ابن أبي طالب :  
ملكنت فأنتجح<sup>(٣)</sup> .

فجهزها إلى المدينة ، وأعطاهما إثني عشر ألفاً . فرضى الله تعالى عنه وعنهما<sup>(٤)</sup> .  
وكان عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه - وهو ممن كانوا مع علي رضي الله تعالى عنه -  
يقول على المنبر : إنها لزوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة<sup>(٥)</sup> .

وفي الصحيح أن رجلاً نال من عائشة رضي الله تعالى عنها عند عمار ، فقال : اغرب  
مقبوحاً ، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup> .

وروي أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاء يستأذن علي عائشة وهي في مرض .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي [١٧٨] ، والطبقات لابن سعد [١٩٧/٣] .

والذي في المصحف : ﴿ وَتَمَّتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] .

(٢) في موكب السيرة [٤٠/٣٨] .

(٣) أي : قدرت سهلاً ، وأحسن العفو . وهو مثل سائر .

(٤) سير أعلام النبلاء [١٧٨/٢] . وهذا التزاماً منه رضي الله تعالى عنه بوصية رسول الله ﷺ ، فقد

روت أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين  
وضحكت عائشة ، فقال لها : انظري يا خميرة أن لا تكفوني أنت ، ثم التفت إلى علي وقال : يا  
علي : إن وليت من أمرها فارقني بها .

الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة [٤١١/٦] ، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية [٢٥٧/٤] عن  
البيهقي ، وقال : هذا حديث غريب جداً .

وقال ابن عساکر : هذا حديث حسن من رواية أم سلمة هند زوجة النبي ﷺ .

(٥) أخرجه البخاري [٣٧٧٢] ، والترمذي [٣٨٨٩] .

(٦) رواه الترمذي [٣٨٨٨] . وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي [٨١٥] : ضعيف الإسناد .

- الموت . قال فحجت وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن ، فقلت : هذا ابن عباس يستأذن . قالت : ذهني من ابن عباس ، لا حاجة لي به ، ولا بتزكيتي . فقال عبد الله : يا أمه ، إن ابن عباس من صالحى نبيك ، يودعك ويسلم عليك .  
قالت : فإذن له إن شئت . قال : فجاه ابن عباس ، فلما قعد ، قال : أبشري ، فوالله ما بينك وبين أن تغارقي كل نضب ، وتلقى محمداً ﷺ والأحبة ، إلا أن تغارقى روحك جسدك .

قالت : إيها ، يا ابن عباس !

قال : كنت أحب نساء رسول الله ﷺ - يعني : إليه - ولم يكن يُحِبُّ إلا طيباً ، سقطت قِلادتك ليلة الأبواء ، وأصبح رسول الله ﷺ ليَلْفِطُهَا ، فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فأنزل الله : ﴿ تَسْتَمُوا مَعِينًا مَبِينًا ﴾ [ النساء : ٤٣ ] . فكان ذلك من سيبك ، وما أنزل الله بهذه الأمة من الرخصة ، ثم أنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات ، فأصبح ليس مسجد من مساجد يُذكر فيها الله إلا براءتك تنلى فيه آناه الليل والنهار .

قالت : ذهني عنك يا ابن عباس ، فوالله لو ددت أني كنت نسباً منبياً<sup>(١)</sup> .

وكان مسروق إذا حدث عن عائشة ، قال : حدثني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المرأة من فوق سبع سموات ، فلم أكذبها<sup>(٢)</sup> .

وسئل : هل كانت عائشة تُحسنُ الفرائض ؟ قال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكارب يسألونها عن الفرائض<sup>(٣)</sup> .

وروى عنه أنه قال : لولا بعض الأمر ، لأفمت المناحة على أم المؤمنين - يعني عائشة -<sup>(٤)</sup> .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه أحمد في المسند [٣٤٩، ٢٧٦/١] . والبخاري مختصراً [٣٧٧٣] . والحاكم [٩، ٨/٤] ،

وضححه وواقفه الذهبي وابن سعد في الطبقات الكبرى [٧٥/٨] ، وأبو نعيم في الحلية [٤٥/٢] من طرق عن عبد الله بن خيثم عن ابن أبي مليكة عن ذكوان بنحوه .

(٢) في الحلية [٤٤/٢] .

(٣) رواه الدارمي [٣٤٣، ٣٤٤/٢] ، والحاكم في المستدرک [١١/٤] . قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٧٨/٨] .

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير [٢٤٩/٢٣] ، والحاكم في المستدرک [١١/٤] ، وذكره الهيثمي

في مجمع الزوائد وقال : رجاله ثقة ، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

وقال عنها أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : ما أشكل علي أصحاب محمد ﷺ حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً<sup>(١)</sup> .  
ولقد أعطاهما الله سبحانه سعة في العلم والحفظ ، فكانت تحفظ عشرات الآلاف من شعر لبيد<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الترمذي [٣٨٨٣] . وقال الألباني في صحيح الترمذي [٣٠٤٤] : صحيح .  
(٢) في مركب السيرة النبوية [ ص : ٢٩ ] ، والحديث في البخاري [١٨٦/٢] بنحوه .

## وفاتها

### رضي الله تعالى عنها

روى ابن أبي خيثمة عن عمرو بن الزبير أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت له : إذا مات فادفني مع صواحيبي<sup>(١)</sup> بالبقيع .

وكانت وفاتها في رمضان ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثرين ، سنة ثمان وخمسين من الهجرة ، وصلى عليها أبو هريرة خليفة مروان بالمدينة .

رُوي لها عن رسول الله ﷺ ألف ومائتا حديث وعشرة أحاديث ، انفق البخاري ومسلم عنها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد الأول بأربعة وخمسين حديثاً والثاني بمائة وسبعين . وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٧٧، ٧٤/٨] .

(٢) قال ابن حجر في الإصابة : روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير العليل ، وروت أيضاً عن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسيد بن حضير ، وجدامة بنت وهب ، وحمزة بنت عمرو .

وروي عنها من الصحابة : عمر ، وابنه عبد الله ، وأبو هريرة ، وأبو موسى ، وزيد ابن خالد ، وابن عباس ، وربيع بن عمرو الخزني ، والسائب بن يزيد ، وصفية بنت شيبة ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وغيرهم .

ومن آل بيتها : أختها أم كلثوم ، وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث ، وابن أخيها القاسم ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر ، وبنت أخيها الآخر حفصة ، وأسما بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وحفيده عبد الله بن أبي غنيم محمد بن عبد الرحمن ، وابنا أختها : عبد الله ، وعمرو ابنا الزبير بن العوام من أسماء بنت أبي بكر ، وحفيدا أسماء عبادا ، وحبيباً ، ولدا عبد الله بن الزبير ، وحفيد عبد الله عباد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير ، وبنت أختها عائشة بنت طلحة بنت أم كلثوم بنت أبي بكر ، ومواليها :

« أبو عمر ، وذكوان ، وأبو يونس ، وابن فروخ .

ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب ، وعمرو بن ميمون ، وعلقمة بن قيس ، ومسروق ، وعبد الله بن حكيم ، والأسود بن يزيد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو وائل ، وآخرون كثيرون . ماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلعت من رمضان عند الأكثر وقبل سنة سبع ، ذكره علي بن الصديقي ، عن ابن عيينة ، عن هشام ابن عمرو ، ودفنت بالقيع .

الإصابة (٨/٢٠-٢١) .

وقال الذهبي : منذ عانته يبلغ ألفين ومنتين وعشرة أحاديث . اتفق لها البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، وانفرد مسلم بتسعة وستين .

سير أعلام النبلاء (٢/١٣٩) .

## أم المؤمنين حفصة

رضي الله تعالى عنها

« الستر الرفيع الصومعة القوامه »

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، أمها زينة بنت مظعون ، أسلمت وهاجرت ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت حنيس بن خذافة السهمي ، هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر ، فلما تأيمت ذكرها عمر لعلي وأبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما إلى زواجها<sup>(١)</sup> .

(١) قال الذهبي : الستر الرفيع ، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ، تزوجها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها من حنيس بن خذافة السهمي أحد المهاجرين ، في سنة ثلاث من الهجرة .

وروي أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين ، فعلى هذا يكون دخول النبي ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة .

سير أعلام النبلاء - ٢ / ٢٣٧ .

وقال الشنقيطي : إنها من خيرة أمهات المؤمنين ، عرفت بكثرة الصوم والصلاة والأمانة<sup>(٢)</sup> .  
وعُدت مع عائشة ممتن حفظ القرآن ، وعندها كان المصحف الذي كتبه - بأمر من أبي بكر وعمر - زيد بن ثابت الأنصاري الذي يقول فيه حسان بن ثابت .

فمن السقوا في بعد حسان وابنه

ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت<sup>(٣)</sup>

وكانت حفصة أيضاً من اللواتي زوين عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> ، ولها مع رسول الله قصة مشهورة نزل فيها القرآن .

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إرضائها ، وأسز إليها حديثاً قبل عنه إنه في تحريم =

(١) الاستيعاب لابن عبد البر [١٨١٦] ، والإصابة [٥٨٢/٧] .

(٢) ديوان حسان [٦٧] .

(٣) الإصابة [٥٨٢/٧] .

فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياها في شوال سنة ثلاث من الهجرة ،

جارتها مارية ، ورَضِيَتْ حفصة بالحديث وأخبرت به صديقتها عائشة<sup>(١)</sup> . ولكن الله كان لهما بالمرصاد ، فأمره أن لا يُحرم ما أحل له ، وأخبره الغليم الخبير بما كانت تتحدث به حفصة وعائشة ، وأمرهما الله بالتوبة النصوح ، وهذَّهَما إن عادتا إلى الظاهر على النبي في شأن زينب بنت جحش والعسل الذي شرب عندها ، هدَّهَما الله بالخروج من بيوت النبي وهو أشدُّ العقاب .

وتقول بعض الروايات : أنه طلقها ، وأمره جبريل أن يراجعها مرضاةً لعمر . وتقديراً لعبادتها<sup>(٢)</sup> .

وسمع عمر قصة حفصة وأقسم أن لو أمره رسول الله ﷺ بضرب عنق حفصة لفعل ، غير أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد . فحفصة ثابتة توبة نصوحاً ورضيت بالله ورسوله . وبقي عمر كيف كان يحاول أن يعرف ماذا جرى في بيوت النبي ﷺ .

ويقول إنه كان يسكنُ قرب المدينة وله صديق من الأنصار وكل منهم بيت مع رسول الله ﷺ في المدينة ويأتي لصاحبه بأخباره ، وما شعر عمر حتى أتى صاحبه يدق عليه دقاً عنيقاً فسأله مدعوراً ماذا حدث ؟ فهل غزا المدينة العسائرون الذين كان المسلمون يتخوفون منهم آن ذاك ؟ وقال له صاحبه لا . الأمر أشدَّ من ذلك . رسول الله طلق نساءه . فراجع عمر وقال : خسرت حفصة ؟ ، ثم ذهب من نوه إلى المدينة وصلى الصبح مع رسول الله ﷺ ، وبعد الصلاة انفرد النبي في حجرته ، واستأذن عمر على رسول الله ولم يجبه البواب ، فرجع إلى المسجد ، ولكنه لم يستطع الجلوس ورجع واستأذن من جديد ، ولكنه لم يجد جواباً . فرجع إلى المسجد ثم ما لبث أن أتاه غلامٌ رسول الله ﷺ مؤذناً له بالدخول . ودخل عمر على رسول الله ﷺ ووجده مضطجعاً على الأرض ، ولم يستطع عمر أن يجلس فبقى واقفاً وقال : أطلقت نساءك يا رسول الله ؟ فأجاب به : لا .

فهدأ روح عمر ، ثم بقي واقفاً مكانه ، وبعد ذلك قال : لقد كنا يا رسول الله في مكة ونحن نغلب نساءنا ولما جئنا المدينة وجدنا الأنصار ، نساءهم تغلبهم فأفسدوا علينا نساءنا . فتبسم رسول الله ﷺ . واستطاع عمر أن يدنو منه قليلاً ، وقال : يا رسول الله لقد قلت لحفصة أن لا تغتر بما تفعله عائشة ؛ لأنَّ عائشة أجمل منها وأضوأ . فتبسم النبي ﷺ أيضاً واستطاع أن يجلس وأن يتناول أطراف الحديث مع رسول الله وعرف أن حفصة لم تخسر بل ستظل في بيت رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> . فكانت من القانتات لله ورسوله اللواتي =

(١) رواه الطبراني في الأوسط [٨٧٦٤] ، وذكره الهيثمي في المجمع [١٢/٥] وقال : رواه الطبراني

في الأوسط وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، ثقة مأمون ، وضعفه أحمد وغيره .

(٢) الاستيعاب [١٨١٢] ، الإصابة [٥٨٢/٧] .

(٣) أخرجه البخاري [٤٩١٣] من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

وظلقها رسول الله ﷺ تطليقة واحدة ثم راجعها : نزل عليه الوحي « راجع حفصة ، فإنها صوامئة قوامئة ، وإنها زوجتك في الجنة »<sup>(١)</sup> .

روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين . وفي تاريخ الخميس : توفي عنها زوجها حُنيس - أو حبيش - ابن خُذافة بالمدينة بعد شهوده بدرًا معه عليه الصلاة والسلام ، فعرضها عمر - أبوها - على أبي بكر فلم يجبه بشيء ، ثم عرضها على عثمان فلم يجبه بشيء ، فشكا عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله عرضت على عثمان حفصة فأعرض عني . فقال رسول الله ﷺ : « هل لك في خيرٍ من ذلك ؟ أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان أم كلثوم »<sup>(٢)</sup> . أخرجه أبو عمرو وقال : حديث صحيح .

وعن ربعي بن حراش عن عثمان أنه خطب إلى عمر ابنته فردّه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فلما راح إليه عمر قال له : « أدلك على خير لك من عثمان وأدلك عثمان على خيرٍ له منك » ، قال : نعم يا نبي الله . قال : « تزوجني ابنتك ، وأزوج عثمان ابنتي » . أخرجه الخجندي<sup>(٣)</sup> .

قلت : ما رواه الخجندي يخالف ما تقدم عن تاريخ الخميس ، فإنه ذكر فيه أن عمر رضي الله تعالى عنه عرض ابنته على عثمان وأعرض عثمان عنه ، وما رواه الخجندي خطب عثمان إلى عمر ابنته فردّه ، فلينظر وجه الوافق . والله أعلم .

سجدن أجرهنّ مرتين ، فهي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب . وسرى من هو عمر بن الخطاب .

كانت حفصة شقيقة عبد الله بن عمر ، أمها زينب بنت مظعون<sup>(١)</sup> ، وخالها عثمان ابن مظعون أول من دفن في البقيع ، وكان أخوها عبد الله من علماء الصحابة وعبادهم وحفظتهم ، ومن بنيه سالم بن عبد الله وهو من أهل الفقه والحديث<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الطبراني في الكبير [٣٠٦/٢٣] ، والبزار [٢٥١/١] واللفظ له ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤٧/٩] وقال : في إسنادهما الحسن بن أبي جعفر ، وهو ضعيف .

(٢) في الاستيعاب [١٨١١/٤] ، الإصابة [٥١/٨] ، وعيون الأثر [٣٠٢/٢] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨٣/٨] .

(١) أسد الغابة [٢٢٧/٣] ، الإصابة [١٨١/٤] .

(٢) في موكب السيرة [ص : ٤١، ٤٢، ٤٣] .

وتزوج عثمان أم كلثوم بعد رُقبة ، وتزوج عليه الصلاة والسلام حفصة ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام طلقها ، فأناها خالها قدامة بن مظعون وعثمان بن مظعون فهكت وقالت : واللّٰه ما طلقني رسول الله ﷺ عن شيع<sup>(١)</sup> .

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ خَيْرٌ طَلَقَهَا أَبَاهَا عَمْرٌ حَتَّى عَلِيَ رَأْسُهُ التَّرَابَ وَقَالَ : مَا يَبْغَى اللَّهُ بِعَمْرٍ وَابْتَهَ بَعْدَ هَذَا . فَنَزَلَ جَبْرِيلُ مِنَ الْعَدْوِ وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ أَنْ تَرَأِجَعَ حَفْصَةَ رَحِمَةً لِعَمْرٍ<sup>(٢)</sup> . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنْ جَبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ لِي رَأِجَعَ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَامَةٌ قَوَامَةٌ ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْحِنَةِ<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية : هم بطلاقها<sup>(٤)</sup> ولم يطلق .

ورُوِيَ عَنْ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ : مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا ، فَمَنْ ذَلِكَ سَكَتُ عَنْكَ وَأَعْرَضْتَ<sup>(٥)</sup> ، فَكَانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَرِيبًا مِنْ ثَمَانِي سَنِينَ .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨٤/٨] . والشيع : البغض أو النقص .

وذكره المحب الطبري في السط السنين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ١٤٢ ] .

(٢) رواه الطبراني في الكبير [٣٠٧/٢٣] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٤٧/٩] وقال :

فيه عمرو بن صالح الحضرمي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . وانظر : أسد الغابة

لابن الأثير [٦٦/٧] .

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨٥/٨] .

(٥) أخرج البخاري [٥١٢٢] : أن عمر بن الخطاب حين فأنهت حفصة بنت عمر من خنيس

ابن خذافة السهلي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوهى بالعدية .

فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة .

فقال : سأنظر في أمري فلبث ليالي ، ثم لقيني فقال : قد بدالي أن لا أتزوج يومئذ هذا .

قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت

أبو بكر فلم يرجع إلى شيئاً ، وكنت أوجد عليه مني على عثمان .

فلبث ليالي . ثم خطبها رسول الله ﷺ ، فأنكحها إياه ، فلتيني أبو بكر فقال : لعلك

قال العلامة الشامي : كان زوجها حُنَيْسَ مِمَّنْ شهد بدرًا ، فعاد إلى المدينة فمات بها من جراحات أصابته يوم بدر .



~ وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟

قال عمر قلت : نعم .

قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلها .

## وفاتها

رضي الله تعالى عنها

توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة في خلافة معاوية ، وبكي عليها مروان بن الحكم أمير المدينة ، وحمل سريرها بعض الطريق ، ثم حمل أبو هريرة إلى قبرها ، فنزل في قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر رضي الله تعالى عنهم ، وسالم وعبد الله وحمزة أبناء عبد الله بن عمر ، وقد بلغت ستين سنة . وقيل : ماتت سنة الثنتين وأربعين ، وأوصت إلى عبد الله أخيها بما أوصى إليها أبوها عمر ، وتصدق بمال لها وقفته بالغبية .

مروياتها سبعون حديثاً<sup>(١)</sup> ، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وانفرد مسلم بستة والباقية في سائر الكتب<sup>(٢)</sup> .



(١) قال الذهبي : وسندها في كتاب بقي بن مخلد سنون حديثاً .

سير أعلام النبلاء [٢/ ٢٣٠] .

(٢) قال الذهبي : روى عنها أخوها ابن عمر ، وهي آمن منه بست سنين ، وحازة بن وهب ، وشير بن شكل ، والمطلب بن أبي وداعة ، وعبد الله بن صفوان الجمحي ، وطائفة .

سير أعلام النبلاء [٢/ ٢٣٧-٢٣٨] .

## أم المؤمنين زينب بنت خزيمة

رضي الله تعالى عنها

« أم المساكين »

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال الهلالية ، تزوجها عليه الصلاة والسلام في رمضان من السنة الثالثة من الهجرة ، تسمى « أم المساكين » لإطعامها إياهم ، كانت تحت عبد الله بن جحش في قول الزهري ، قتل عنها يوم أحد فتزوجها عليه الصلاة والسلام ، ولم تلبث عنده عليه الصلاة والسلام إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ، توفيت في حياته ﷺ ، وقيل : مكثت عنده ثمانية أشهر ، ذكره الفضائي<sup>(١)</sup> .

(١) قال الشنقطي : وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة . وهي أم المؤمنين عامة وأم المساكين بالخصوص . عرفت برحمتها ورقتها بالضعفاء<sup>(٢)</sup> ، كانت قبل عبدة بن الحارث بن المطلب عند ابن عمها جهنم بن عمرو بن الحارث ، ثم استشهد عندها عبدة بن الحارث يوم بدر . وذلك في مبارزة مشهورة لا تزال تتغنى بأمرها الولائد إلى اليوم .

وبعد عبدة دخلت زينب في بيوت النبي فآجرها الله في مصيبتها . ورزقها خيراً من عبدة ، وقد قيل : إنها هي التي وهبت نفسها للنبي وأنزل فيها القرآن كما قيل : أنها ابنة عمها يمونة وبعض المفسرين يقول : إن الواهية هي أم شريك الأنصارية<sup>(٣)</sup> ، ومن الجائز أن يكن كلهم وهين أنفسهم كما أن التكرير في لفظ الآية قد يدل على التعدد ، مع أن الذي شهره العلماء أنها خولة بنت حكيم التي كانت عند عثمان بن مظعون<sup>(٤)</sup> .

وما لبثت زينب بنت خزيمة أن أجابت داعي ربها<sup>(٥)</sup> فكانت هي وخدمجة بنت خويلد =

(١) الإصابة [٦٧٧/٧] .

(٢) تفسير ابن كثير [٤٨٠/٣] .

(٣) المصدر السابق [٤٨٠/٣] .

(٤) أسد الغاية [٤٦٦/٥] ، والإصابة [٦٧٣/٣] .

قال الشامي في سيرته : قال قتادة بن عليّة : كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، ولما خطبها عليه الصلاة والسلام جعلت أمرها إليه فتزوجها ، وأشهد وأصدقها اثني عشرة أوقية ونشاً <sup>(١)</sup> .

روى الطبراني برجال الصحيح عن ابن إسحاق : تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية - أم المساكين - كانت قبله عند الحصين ، أو عند الطفيل ابن الحارث بالمدينة وهي أول نسائه موتاً <sup>(٢)</sup> .

قال ابن الكلبي : كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها ، فتزوجها أخوه عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب فقتل عنها يوم بدر شهيداً ، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج أختها لأنها ميمونة .

قال ابن أبي خيثمة : كانت تسمى أم المساكين في الجاهلية ، وأرادت أن تعتق جارية لها سوداء فقال لها رسول الله ﷺ : « ألا تفدين أخاك أو أختك من رعاية العنم » <sup>(٣)</sup> .



١ - اللتين توفيتا في حياة رسول الله ﷺ من بين أزواجه أمهات المؤمنين . فكان لهما حسن الحظ أن كان الرسول عليه الصلاة والسلام شهيداً على حياتهما الإسلامية ، ولقيت زينب الله وهو عنها راض . ورضى الله عنهما وصلى عليها رسول الله ﷺ .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١١٥/٨] .

(٢) رواه الطبراني [١٥٠/٢٤] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥١/٩] وقال : رجاله ثقة . وقوله : « وهي أول نسائه موتاً » بالطبع بعد خديجة رضي الله تعالى عنها .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١١٦/٨] .

## أم المؤمنين أم سلمة

رضي الله تعالى عنها

« كأنها لم تكن من النساء ولا تجد ما يجدن من الغيرة »

هي هند - وقيل زملة والأول أصح - بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، واسم أبي أمية سهيل ويقال له : زاد الراكب بن المغيرة .

وقال أبو عمرو : تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع في شوال ، كذا في « السمط الثمين »<sup>(١)</sup> .

قال في « المواهب »<sup>(٢)</sup> : تزوجها في ليالٍ بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة ، ومات أبو سلمة سنة أربع وقيل : سنة ثلاث . وكانت أم سلمة سمعت منه عليه الصلاة والسلام يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول : اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها ، إلا أخلف الله له خيراً منها » . قال : فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة ؟ ثم إنني قلتها ، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> ، فأرسل إليّ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له ، وكانت قبله

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ١٤٦ ] ، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : [ ٢/٢٠٢ ] وقد وهم من سماها : زملة ، تلك أم حبيبة .

(٢) المواهب اللدنية [ ١/٤٠٨ ] .

(٣) أخرجه مسلم [ ٣/٩١٨ ] وأبو داود [ ٣١١٩ ] ، والترمذي [ ٣٥١١ ] وابن ماجه [ ١٥٩٨ ] . وروى أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت لأبي سلمة رضي الله تعالى عنه : بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها ، وهو من أهل الجنة ، ثم لم تزوج ، إلا جمع الله بينهما في الجنة . فتعال أحاهدك ألا تزوج بعدى ، ولا أتزوج بعدك .

قال : أتطيعيني ؟

تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ، وكانت هي وزوجها المذكور أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، فولدت له بها زينب ، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة . وقيل : هي أول ظعينة<sup>(١)</sup> دخلت المدينة مهاجرة . ولما مات زوجها أبو سلمة خطبها عمر رضي الله تعالى عنه فأبت فأرسل إليها رسول الله ﷺ فقالت : مرحباً برسول الله ﷺ ، إن فيّ خللاً ثلاثاً : أنا امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مُضَيبة ، وأنا امرأة ليس هنا أحد من أوليائي فيزوجني . فغضب عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين رذته ، فاتاها رسول الله ﷺ فقال : «أما ما ذكرت من غيرتك فيني أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم ، وأما ما ذكرت من أوليائك ، فما أحد منهم يكرهني » فقالت لابنها عمر : زوجني عليه<sup>(٢)</sup> .

قلت : لعل هذا من خصوصياته عليه الصلاة والسلام ، إذ قواعد مذهبنا أن الابن لا يُزوج أمه إلا إن كان ابن ابن عم لها ، والله سبحانه أعلم ، فيزوج بجهة العصوبة حيث لا بجهة البنوة .

قال صاحب « السمط الثمين »<sup>(٣)</sup> : رواه بهذا السياق هدبة بن خالد

« قالت : نعم . قال : إذا بُتُ تزوجي . اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً مني ، لا يحزنها ولا يؤذيها .

فلما مات ، قلت : من خير من أبي سلمة ؟ فما لبثت ، وجاء رسول الله ﷺ ، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها ، أو ابنتها .

فقالت : أزد على رسول الله ، أو أتقدم عليه بعالي . ثم جاء الغد فخطب .

(١) الظعينة : المرأة في اليهود ، وقيل : سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته ، ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج ، وعن ابن السكيت : كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره .

لسان العرب [٢٧١/١٤] بتصرف .

(٢) رواه أحمد في المسند [٢٨/٤] والنسائي في المجتبى [٣٢٥٤] بنحوه ، وضعفه الألباني في ضعيف النسائي [٢٠٦] . وامرأة مُضَيبة : أي ذات صبيان . شرح السيوطي على النسائي . [٨١/٦] .

(٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ١٥١ ] .

وصاحب الصفوة . وخرَّج أحمد والنسائي طرقاً منه ، ومعناه في الصحيح ، وفيه دلالة على أن الابن يلى العقد على أمه ، وعندنا أنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها ، لأن أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ، وأم سلمة هند بنت سهل بن المغيرة بن عبد الله ، ولم يكن من عصبتها أحد حاضراً غيره .

وكانت أم سلمة من أجمل النساء ، روى عن عائشة أنها قالت : لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنتُ حزناً شديداً لما ذكروا لي من جمالها ، فاطلعت حتى رأيتها أضعاف ما ذُكرت لي في الحسن ، فذكرت ذلك لحفصة - وكانتا يداً واحدة - فقالت : لا والله إن هذا إلا الغيرة ، ما هي كما يقولون . فتلطفت بها حفصة حتى رأتها فقالت : رأيتها ، لا والله ما هي كما تقولين ولا قريب منه وإنما لجميلة . قالت عائشة : فرأيتها بعد ، فكانت كما قالت حفصة ، ولكنني كنت غيرة<sup>(١)</sup> .

وفي « السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين »<sup>(٢)</sup> : أرسل إليها رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبها ، فقال لها رسول الله ﷺ : أما إنني لم أنقصك عما أعطيتُ فلانة ، يعني زينب بنت خزيمة وكانت قد ماتت زينب قبلها ، قيل لأم سلمة ما أعطي فلانة ؟ قالت : أعطها جرتين تضع فيهما حبها ، ورحي ، ووسادة من آدم خشوها ليف . ثم انصرف حاطب ، فأقبل رسول الله ﷺ يأتيها ، فلما رآته وضعت زينب أصغر ولدها في حجرها ، فرجع عليه الصلاة والسلام ، ثم عاد مرة ثانية ففعلت ذلك أيضاً ، ففطن عمارة فأقبل مسرعاً بين يدي رسول الله ﷺ - وكان أخاها لأُمها - وانتزعها من حجرها وقال : هاتي هذه المقبوحة المشقوقحة التي منعت رسول الله ﷺ ، فجاء رسول الله ﷺ فلم يرها في حجرها فقال : أين زنا ب ؟ قالت : أخذها عمارة . فدخل رسول الله ﷺ إلى أهله<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٤/٨] .

(٢) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ص : ١٥١] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٠/٨] .

فكانت أم سلمة في النساء كأنها لم تكن منهن ، ولا تجد ما يجدن من الغيرة .

قلت : هذا لا يخالف ما تقدم من قولها له عليه الصلاة والسلام في ابتداء الخطبة : أنا امرأة شديدة الغيرة ؛ لأنها كانت كذلك قبل الدعوة بإذهاب غيرتها ، وما هنا بعدها .

قال أنس : إنَّ الشَّيْبِيَّ ﷺ تزوج أم سلمة على مناع قيمته عشرة دراهم<sup>(١)</sup> . وروى أنه : لما تزوجها نقلها إلى بيت زينب بنت خزيمة بعد موتها ، فدخلت فرأت جرة فيها شعير ، ورحي وبرمة ، فظحتته ثم عجنته ثم عصدته في البرمة فأدمته بإهالة<sup>(٢)</sup> .

وزُوِّي عن هند بنت الغراء قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد » فلما تزوج أم سلمة قيل : يا رسول الله ما فعلت تلك الشعبة ؟ فسكت ، فيوجب أن أم سلمة نزلتها<sup>(٣)</sup> .

قال في السيرة الشامية : مات زوجها أبو سلمة سنة أربع ، شهد بدرأ ، وأحداً ورُمي به بسهم في غُضده فمكث شهراً يداويه ثم برأ الجرح .

بعثه عليه الصلاة والسلام - هلال المحرم - على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره وبعث معه مائة وخمسين رجلاً إلى قُظن - جبل بنجد - فغاب تسعاً وعشرين ليلة ، ثم رجع إلى المدينة فانتقض جرحه فمات منه ، لثمانٍ خَلَوْنَ من جمادى الآخرة سنة أربع ، فاعتدَّت أم سلمة وحلت لعشر بقين من شوال من السنة المذكورة ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام في ليالٍ بَقِيْنَ من شوال المذكور<sup>(٤)</sup> .

ولو لم يكن من فضلها إلا مشورتها على رسول الله ﷺ بالحلوق في

(١) رواه الطبراني في الكبير [٤٩٨/٢٣] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٨٥/٤] وقال : فيه الحكم بن عطفة وهو ضعيف .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٢/٨] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٤/٨] .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨٧/٨] .

قصة الحديدية ، لما امتنع منه أكثر أصحابه لكفائها <sup>(١)</sup> .

وروى أبو الحسن الحلبي عن عمر بن شبيب <sup>(٢)</sup> أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة فحدثته أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة فجعل حسناً في شق وحسيناً في شق وفاطمة في حجره وقال : ﴿ رَحِمَتْ اللَّهُ وَرَكَنَتْ عَلَيْكَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيبٌ حَبِيبٌ ﴾ [هود : ٧٣] ، وأنا وأمي أم سلمة جالسان ، فيكت أم سلمة ، فقال رسول الله ﷺ : « إنك من أهل البيت » .

وروى عمر الملا عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة ، يبدأ بأم سلمة لأنها أكبرهن ، ويختم بعائشة .

وروى الإمام أحمد عن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم قالت : لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال : « يا أم سلمة إني قد أهديت إلي النجاشي حلة وأواق مسك ، ولا أرى النجاشي إلا قد مات ، ولا أرى هديتي إلا مردودة فهي لك » ، فكان كما قال ﷺ ، وردت إليه هديته ، فأعطي كل واحدة منهن أوقية ، وأعطي أم سلمة المسك والحلة <sup>(٣)</sup> .

وروى عنها أنها قالت : يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي ، أفأنفضه لغسل الجنابة ؟ . فقال رسول الله ﷺ : « لا ، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيض الماء فتطهرى » <sup>(٤)</sup> .

(١) قال الذهبي : وكانت رضي الله تعالى عنها تُعد من فقهاء الصحابييات ويبلغ مسندها ثلاث مئة وثمانية وسبعين حديثاً ، وافق البخاري ، ومسلم لها على ثلاثة عشر . وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بثلاثة عشر .

سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٦١٠ .

قلت : وحديثها في المسند للإمام أحمد [٢٨٩/٦-٣٢٤] .

(٢) قال أبو حاتم : لا يحتج به . مات سنة ٢٠٢ هـ .

(٣) رواه أحمد في المسند [٤٠٤/٦] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [١٥٠/٤] وقال : فيه مسلم بن خالد ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه جماعة . وأم موسى بن عقبة لم أعرفها ، وبقيت رجاله رجال الصحيح .

(٤) أخرجه مسلم [٥٨/٣٣٠] .

وروى الإمام أحمد والبخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : إن رسول الله ﷺ صالح أهل مكة ، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم ، فلما فرغ قال للناس : « قوموا فأنحروا ثم احلقوا » . قال فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قالها ثلاثاً ، فلما فرغ قالت أم سلمة : يا رسول الله لا ترى أحدًا منهم يفعل ذلك حتى تنحر بُذُنك وتدعو الحلاق فيحلقك ، فخرج ففعل ، فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا حتى كادوا يقتتلون على الحلاق ، وجعل بعضهم يحلق بعضًا<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البخاري [٢٧٣١، ٢٧٣٢] ، وأحمد [٣٢٣/٤] مطولاً .

قال الشنيطي : اشتهر بنو مخزوم بالرأي والشجاعة وشاركتهم أم سلمة في رأيهم وشجاعتهم وفازت عليهم بدخولها في بيوت النبي ﷺ .

ونرى شجاعتها في كونها أرادت أن تهاجر وحدها من مكة إلى المدينة ، ليس معها إلا ابنتها سلمة بن أبي سلمة وهو يومئذ صبي ، وذلك أنه لما أزمع أبو سلمة الخروج مهاجراً إلى الله ورسوله حملها على جمل هي وابنها ، ولكن لما رآه بنو المغيرة منعوه وحين غلبهم على أمره تركوه يذهب وحده وأخذوا منه زوجته أم سلمة . وذهب أبو سلمة وأتى أهله من بني عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ، ونزعوا من بني المغيرة سلمة ابن أخيهم ، وحبست أم سلمة عند بني المغيرة ، وفرق بينها وبين ابنتها وزوجها ، فمكثت قريباً من سنة تخرج كل غداة إلى الأبطح فما تزال تكي حتى المساء .

ثم رقي لها بعض أهلها وأذنوا لها بالهجرة ، وأخذت ابنتها وبغيرها وذهبت تفصد المدينة وحدها ، وتوى أن تبلغ بمن تلقى في الطريق ، وتصادف في سبيلها عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار ، فسألها عن أمرها ، ولما عرفه آت له مروءته أن يتركها تضيع فراقها وسار بها إلى المدينة مرافقة الكريم الأمين .

وبعد وفاة أبي سلمة كان لها من رسول الله ﷺ أفضل خلف ، فكانت من أهل مشورته<sup>(٢)</sup> ومن حمل عنه العلم والحديث ، كما كانت ممن ثبت معه في المواقف الحرجية ، وأتاه جبريل في بيتها ورأته وطلته دحية الكلبي<sup>(٣)</sup> .

لقد مرت على رسول الله ﷺ أوقات صعبة في جهاد المشركين وكان من أصعبها صلح الحديبية ، وثقل هذا الصلح على المسلمين وقبل رسول الله ﷺ عقد الهدنة مع قريش ، وقبل أن يرجع عن مكة ، وقبل أن يرد عليهم من جاءه من مسلمي مكة ، ونفرت نفوس

(١) أخرجه البخاري [١٦٤/٣] ، الإصابة [٢٢٤/٨] .

(٢) الإصابة [٣٨٥/٢] .

توفيت أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين على الصحيح - واستخلف يزيد سنة ستين - بعد ما جاءها الخير بقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، ولها من العمر أربع وثمانون سنة على الصواب .

كثير من المسلمين من هذا الصلح ، ولم يثبت مع رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا الغليل ، وكان ممن ثبت معه زوجه أم سلمة بنت أبي أمية ، ولما انتهى أمر الصلح أمر النبي ﷺ الناس أن ينحروا وأن يحلقوا . أمرهم بذلك ثلاث مرات ولم يقم منهم أحد ! فدخل علي أم سلمة وقص عليها ما لقي من أصحابه . قالت له أم سلمة : أرى يا رسول الله أن تخرج إليهم ولا تكلم أحداً منهم ، ثم تنحر بذلك وتدعو حالك فتحلق . وخرج عنها رسول الله ﷺ وفعل ما أشارت عليه به ، فنحر وحلق وبادر أصحابه إلى اتباع ما فعل . فكان الرأي في هذه المرة ما أشارت به أم سلمة لا ما أشار به الحباب<sup>(١)</sup> .

وعاشت أم سلمة برهة من الزمن مع النبي في بيوت النبي ﷺ ، وكانت تزعم قسماً كبيراً منهن ، وتوسط إلى رسول الله ﷺ في أمورهن وأمور المسلمين وكانت تسأله عن الفرائض ، وتعلم سائلها ، وبقيت بعده نصف قرن تهدي يهديه وتحدث بحديثه ، ولم تتدخل في سياسة الحكم ، فكانت تقول إن جهاد النساء غرض الأطراف وضم الذبول . وأنها لا تهتك حجاباً ضربه عليها رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> ، وكان من مواليتها علماء من أئمة الأمة ، فمنهم ثيبة بن نضاح ، وأبو ميمونة وهما من فراء المدينة الأعلام وكانا من أشياخ نافع بن أبي نعيم المدني المقرئ المشهور<sup>(٣)</sup> . وقد كان الحسن البصري ابن مولاة لها . وتقول الروايات أنه كان عندها صغيراً وإذا خرجت أمه ويكى أخذته وأعطته ثديها فيدر عليه ويرضع منها اللبن ، ويقول الناس : إن فصاحة الحسن البصري وعلمه الواسع وورعه الشديد كل ذلك كان من بركة لبن أم سلمة ، وليس هذا الأمر بغريب « فطعام الطيبين يطيب » وكذلك طعام الطيبات .

وكانت أم المؤمنين أم سلمة آخر من رآه الناس من نساء النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> . وتقول بعض الروايات : أنها توفيت عام تسع وخمسين وذلك في عهد خلافة معاوية<sup>(٥)</sup> ، والبعض يرى أنها أدركت خلافة يزيد بن معاوية ويؤيده حديث الترمذي أنها رأت رسول الله ﷺ في المنام وهو متأثر بقتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما .

في مركب السيرة (ص : ٤٦، ٤٩) .

(١) أخرجه البخاري (٣/١٦٤) .

(٢) العقد الفريد (٥/٦٢) .

(٣) الإصابة (٨/٢٢٤) .

(٤) الإصابة (٨/٢٢٥) .

(٥) المصدر السابق .

وروى الطبراني بسند رجاله ثقة عن الهيثم بن عدي قال : أول من مات من أزواجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش ، وآخرهن موتاً أم سلمة هذه<sup>(١)</sup> .

وكان لها ثلاثة أولاد : سلمة أكبرهم ، وعمر ، وزينب أصغرهم ، روي في حجر النبي ﷺ .

واختلف فيمن زوّجها فقيل : ولدها عمر كما تقدم ، وقيل : غيره وعليه الأكثرون . وزوّج سلمة هذا النبي ﷺ أمانة ، وقيل : فاطمة ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وعاش سلمة إلى خلافة عبد الملك بن مروان ولم تحفظ له رواية .

وأما أخوه عمر بن أبي سلمة فله رواية ، وتوفي رسول الله ﷺ وله تسع سنين ، ومولده كان بالحبيشة ، واستعمله علي رضي الله تعالى عنه على فارس والبحرين ، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك .

وأما زينب بنت أبي سلمة فولدت بأرض الحبيشة ، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب ، دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل فنضح في وجهها شيئاً من الماء ، فلم يزل ماء الشبّاب في وجهها حتى كبرت وعجزت<sup>(٢)</sup> .

(١) روى الطبراني في الكبير [٥٠٠/٢٣] ، وذكره الهيثم في مجمع الزوائد [٢٤٩/٩] وقال : رجاله ثقة .

(٢) الاستيعاب [١٨٥٦، ١٨٥٥/٤] .

روى الحاكم في المستدرک [١٩/٤] أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أوصت أن يصلى عليها سعيد بن زيد خشية أن يصلى عليها مروان بن الحكم ، وسعيد هو أحد العشرة . وقال الذهبي : وهذا منقطع . وقد كان سعيد توفي قبلها بأعوام ، فقلعها أوصت في وقت ثم عوفيت .

وروى أن أبا هريرة صلى عليها ولم يشيت .

وقال : عاشت نحواً من تسعين سنة ، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عُفرت حتى بلغها مقتل الحسين ، الشهيد ، فوجعت لذلك وقش على قلبها ، وحزنت عليه كثيراً . لم تلبث بعده إلا سيراً ، وانتقلت إلى الله .

سير اعلام النبلاء . [٢٠٢/٢] .

ومعلوم أن الحسن رضي الله تعالى عنه استشهد لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين هـ .

قال العطاف : قالت أمي : رأيت وجه زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء ، تزوجها عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي وولدت له ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، رضي الله تعالى عنها .  
ولمّا ماتت أم سلمة دفنت بالبقيع ، وصلى عليها أبو هريرة ، وقيل : سعيد بن زيد ، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة<sup>(١)</sup> .

= على ما جاء في تاريخ خليفة بن خياط [ص : ١٤٣] ، وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨٧/٨] أنها توفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة ، من حديث عمر بن أبي سلمة ، وقد وعم ذلك الذهبي وقال : الظاهر وفاتها في سنة إحدى وستين رضي الله تعالى عنها .

سير اعلام النبلاء [٢/٢١٠] .

وأخرج مسلم [٢٨٨٢] من طريق عبيد الله بن القبطية ، قال : دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين ، وكان ذلك في خلافة يزيد ابن معاوية وابن الزبير ، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به ، وكان ذلك في أيام ابن الزبير ، فقالت : قال رسول الله ﷺ : « يعوذ عائد بالبيت ، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا بببداه من الأرض خسف بهم » ، فقلت : يا رسول الله ، فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال : يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نية .

(١) قال ابن حجر في الإصابة : كانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة ، فولدت له سلمة ، ثمّ قدام مكة وهاجرا إلى المدينة ، فولدت له عمر ، ودرة ، وزينب ، قاله ابن إسحاق .

وفي رواية يونس بن بكير وغيره عنه : حدثني أبي ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر ابن أبي سلمة ، قال : لمّا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل بهيماً له وحملني وحمل معي ابني سلمة ، ثمّ خرج يهود بعيره ، فلمّا رأه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، رأيت صاحبنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوني ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد وأهواوا إلى سلمة ، وقالوا : والله لا نترك ابنا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا ، فتجادبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ورزق أبو سلمة . وحسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة ففرق بيني وبين زوجي وابني ، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطلح ، فما أزال أبكي حتى أمس سبيعا أو قريبها حتى مرّ بي رجل من بني عمي ، فرأني ما في وجهي ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فرزقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! فقالوا : الحفى بزوجه إن شئت . ورد بنو عبد الأسد عند ذلك ابني ، فرحلت ببعيري ووضعت ابني في حجرى ، ثمّ خرجت أريداً

« زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله ، فكنت أبلغ من لقيت ، حتى إذا كنت بالنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال : أين يا بنت أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . فقال : هل معك أحد ؟ فقلت : لا ، والله - إلا الله وابني هذا - فقال : والله مالك من مترك ! فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه كان أكرم منه إذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري قدمه ورجله . وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع ، والعقل البالغ ، والرأي الصائب ، وإشارتها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها . روى عنها ابنها : عمر ، وزينب ، وأخوها عامر ، وابن أخيها مصعب بن عبد الله ، ومكانتها نهبان ، مواليتها : عبد الله بن رافع ، ونافع ، وسفيانة ، وابنه ، وأبو كثير ، وخيرة والده الحسن . ومن يعد في الصحابة : صفية بنت شيبة ، وهند بنت الحارث الفراسية ، وقبيصة بنت ذؤيب ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . ومن كبار التابعين : أبو عثمان النهدي ، وأبو وائل ، وسعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ، وخميد ، ولما عبد الرحمن ابن عوف ، وعروة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وسليمان بن يسار ، وآخرون .

(الإصابة [٨/ ٢٢٢-٢٢٥] .)

## أم المؤمنين زينب بنت جحش

رضي الله تعالى عنها

« زوجها الله تعالى بنبيه ﷺ بنص بلا ولي ولا شاهد »

أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم<sup>(١)</sup> ، كان رسول الله ﷺ زَوْجَهَا من زيد ابن حارثة ، فمكثت عنده مدة ثم طلقها ، فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد ابن حارثة : « اذهب فاذكرني لها » ، فقال زيد : فذهبت فجعلت ظهري إلى الباب فقلت : يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك ، فقالت : ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل . فقامت إلى مسجد لها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup> .

وقال المنافقون : حرّم محمدٌ نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> الآية .

فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : « زَوَّجَكُنْ أَبَاؤَكُنْ وزوجني الله من فوق سبع سماوات »<sup>(٤)</sup> ، رواه الترمذي وصححه . وكان اسمها برةً فسماها عليه الصلاة والسلام زينب<sup>(٥)</sup> .

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب : زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ . هي زينب بنت جحش بن وثاب بن يعمر بن صبيبة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد ابن خزيمعة . أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله ﷺ .

الاستيعاب (٤/١٨٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم [٨٩/١٤٢٨] بلفظ : « فاذكرها علي » .

(٣) رواه الترمذي [٣٢٠٧] ، وقال الألباني في ضعيف الترمذي [٦٢٨] : ضعيف الإسناد جداً .

(٤) أخرجه البخاري [٧٤٢٠] ، والترمذي [٣٢١٣] .

(٥) أخرجه مسلم [١٨/٢١٤٢] من حديث زينب بنت أم سلمة رضي الله تعالى عنها .

وعن أنس : لما تزوج ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو ﷺ يتها للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، وقام من قام وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس . ثم إنهم قاموا فانطلقت فجيئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ (١) [ الأحزاب : ٥٣ ] .

تزوجها ﷺ هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة ، وهي بنت خمس وثلاثين سنة يومئذ ، كذا في مختصر سيرة البرماوى .

وقال في المواهب : سنة خمس ، قيل : سنة ثلاث ، وهي أول من مات من أزواجه بعده (٢) .

وروى ابن أبي شيبة وابن منيع بسند صحيح عن أنس قال : أولتم رسالاً الله ﷺ على زينب فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً (٣) .

ثم خرج فصنع كما كان يصنع إذا تزوج ، فأتى أمهات المؤمنين فسلم عليهن وسلمن عليه ودعا لهن ، ثم رجع وأنا معه .

وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : كانت زينب هي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عنده عليه الصلاة والسلام ، وما رأيت امرأة قط خيراً من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة (٤) .

وروى أبو يعلى بسند حسن عن أبي برزة رضي الله تعالى عنه قال : كان لرسول الله ﷺ تسع من النساء ، فقال يوماً : « خيركن أطولكن يداً » فقامت كل واحدة تضع يدها على الجدار فقال : « لست أعني هذا ، أصنعكن يداً من » (٥) .

(١) أخرجه البخاري [٤٧٩١] .

(٢) المواهب اللدنية [٤١٠/١] .

(٣) رواه ابن أبي شيبة [٤٠٣/٣] .

(٤) أخرجه مسلم [٢٤٤٢/٨٣] .

(٥) رواه أبو يعلى [٧٤٣٠] بلفظ : « لست أعني هذا ، ولكن أصنعكن يدين » ، وذكره

الهيتمي في مجمع الزوائد [٢٥١/٩] وقال : إسناده حسن ، لأنه يعترض بما يأتي .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أولئك لحاقاً بي أطولكن يداً » . قالت : فكأن يتناولن أيتهن أطول يداً ، قالت وكانت أطولنا يداً زينب ، إنها كانت تعمل بيدها وتتصدق<sup>(١)</sup> . وفي لفظ آخر : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا يعد وفاته عليه الصلاة والسلام نمد أيدينا في الجدار نتناول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش . وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة<sup>(٢)</sup> .

وروى الطبراني عن راشد بن سعد قال : دخل رسول الله ﷺ منزله ومعه عمر ابن الخطاب ، فإذا هو بزينب تصلي وهي تدعو في صلاتها ، فقال النبي ﷺ : « إنها لأواهة »<sup>(٣)</sup> .

وقالت عائشة : لقد ذهبت زينب حميدة فقيدة مفزعاً لليتامي والأرامل<sup>(٤)</sup> .

وروى ابن الجوزي عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع قالت : لما جاءنا العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها . فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي أقدر مني على قسم هذا . قالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب وقالت : ضبوه واطرحوا عليه ثوباً ، ثم قالت : أدخل يدك ، فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان - من أهل رحمها وأيتامهم - فغرفته حتى ما بقي منه بقية تحت الثوب ، فقالت لها برزة

(١) أخرجه مسلم [٢٤٥٢/١٠١] بلفظ : « أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً » ، ورواية البخاري [١٤٢٠] بلفظ : « فكانت سودة أطولهن يداً » .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک [٢٥/٤] وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الطبراني في الكبير [١٠٨/٢٤] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥١/٩] : إسناده متقطع ، وفيه يحيى بن عبد الله الباهلي وهو ضعيف .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١١٠/٨] .

بنت رافع : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ، قالت : لكم ما تحت الشوب ، فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا . فماتت قبله<sup>(١)</sup> .

قال في الروض الأنف : زينب بنت جحش كان اسمها برة فسمها عليه الصلاة والسلام زينب ، اسم أبيها جحش بن رباب فقالت : يا رسول الله لقد غيرت اسم أبي ، وإن البرة ضغيرة . فقال لها : « لو كان أبوك مسلماً سميت باسم من أسمائنا - أهل البيت - ولكن قد سمي جحشاً والجحش أكبر من البرة » . ذكر هذا الحديث مسنداً في كتاب « المؤلف والمختلف » أبو الحسن الدارقطني<sup>(٢)</sup> .

قلت : أصل البرة حلقة تجعل في أنف البعير ليذل بها فينقاد ، تكون من فضة أو حديد ، وقد تجعل للذئول لقصد الزينة كما كانت في جمل أبي لهب الذي غنمه عليه الصلاة والسلام فأهداه إلى الكعبة عام الحديبية ليغيب المشركين حين يرونه . والله أعلم .

توفيت سنة ست وعشرين ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، وعاشت ثلاثاً وخمسين سنة<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٠٩/٨] .

(٢) لم تهتد إليه في النسخة المطبوعة من كتاب « المؤلف والمختلف » للدارقطني نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت . وقد أشار محقق الكتاب في [ ص : ١٥١ ] إلى نقص المخطوطة التي طبع عليها من المقدمة وحرف « الألف » وجزء من حرف « الباء » . وفي موسوعة أطراف الحديث [٧٧٠/٦] عزاه إلى : مختصر تاريخ دمشق [٤٢٤/٣] وإتحاف السادة المتقين [٩٤/٧] .

(٣) قال الذهبي : وكانت من سادة النساء ، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً رضي الله تعالى عنها . وحديثها في الكتب الستة .

روى عنها : ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش ، وأم المؤمنين أم حبيبة ، وزينب بنت أبي سلمة ، وأرسل عنها القاسم بن محمد .  
ولما مات رضي الله تعالى عنها أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه منادياً : ألا يخرج معها إلا ذو محرم .

فقالت بنت عميس : يا أمير المؤمنين ، ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعه بنسائهم ؟ فجمعت نعشاً وغشته ثوباً .

فقال : ما أحسن هذا وأسنوه .

فأمر متادياً ، فنادى : أن أخرجوا على أمكم <sup>(١)</sup> .

قال الشنقيطي : قبل هذا الزواج تخرج النبي ﷺ من زينب فأمر زيدا أن يمسكها عليه ، ولكن الله سبحانه وتعالى زوجها له : ﴿ لَيْسَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَعْيَابِهِمْ بِمَا قَضَى بَيْنَهُمْ وَعَلَى بَنَاتِهِمْ وَكَانَتْ أُمَّرُؤُهُمْ نَفْسَهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

أنعم الله على زيد بهذا الذكر ، وأنعم عليه رسوله بالحرية وبالهداية إلى الإسلام ، فرضى أن لا يتفكك بزینب ورضى أن يختار لها ما اختاره الله سبحانه .

ثم أبدى الله ما كان أخفاه النبي ﷺ خشية أن يقول الناس أنه تزوج زوج ابنه ، وكان في الآيات التي نزلت عليه في أمرها نوع من العتاب حتى أن عائشة كانت تقول : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً آيةً لكتّم هذه الآية التي نزلت عليه في أمر زينب <sup>(٢)</sup> . لكن الله يعلم ما في قلب رسوله ويعلم عصمته وأنه لا يخشى غيره وكفى به حسيباً .

وقد أمر الله تعالى هذا الزواج ورضى به لرسوله ، وأراد أن يطعثن إليه نبيه ﷺ ، ونهى الناس أن ينسوا إليه من ليس بابنه وأن لا يؤذوه ، وأن لا يغشوا بيوته من غير إذن ، فإذا كان الرسول يدعوهم إلى بيته ومأدبه ويستحى من إخراجهم عنه ، فإن الله لا يستحي من الحق ، وينهاهم عن الدخول على الرسول بلا إذن ويأمرهم أن لا يستأنسوا بالحديث في بيته . وأن لا يسألوا نساءه متاعاً إلا من وراء حجاب . كل هذه الأوامر والنواهي قد نزلت في شأن زينب بنت جحش التي أراد الله لها أن تطعثن في بيت نبيه وأن تعيش أياماً ملؤها السعادة والسرور .

كانت زينب بنت جحش أهلاً لهذا الامتنان ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : إنها كانت أزهة <sup>(٣)</sup> .

وقالت أم سلمة : إنها كانت متبذرة تصدق بعملها <sup>(٤)</sup> .

وقالت عائشة : إنها قد عصمتها النفي والورع <sup>(٥)</sup> .

ونعرف من عائلتها أخويها عبيد الله الذي هاجر إلى الحبشة ، وعبد الله .

(١) إسناده صحيح ، وهو في طبقات ابن سعد [١١١/٨] .

(٢) رواه الترمذي [٣٢٠٨] . وقال الألباني في صحيح الترمذي [٢٥٦٣] : صحيح .

(٣) أسد الغابة [٤٦٥/٥] .

(٤) الإصابة [٦٦٨/٧] .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري [٤١٤١] .

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش لعشرين سنة خلت من الهجرة<sup>(١)</sup> ، وكانت أول نساء النبي لحوقاً به ، وأطولهن يداً بالصدقة والإحسان<sup>(٢)</sup> ، ولما رأى عمر بن الخطاب نعشها محمراً قال : نعم خباء الطعينة وقد أتت عائشة بنت أبي بكر على دينها الذي عصمها من كل مكروه ، وكيف لا وهي التي اختارها الله لنبيه ، وأنزل في شأنها آية الحجاب<sup>(٣)</sup> .

في مركب السيرة (ص: ٥١١-٥٢) .

(١) الإصابة [٦٧٠/٧] .

(٢) المصدر السابق [٦٦٩/٧] ، وأخرجه مسلم [٢٤٩/٢] .

(٣) أسد الغابة [٤٦٤/٥] .

## أم المؤمنين جويرية

رضي الله تعالى عنها

« أعظم امرأة على قومها بركة » .

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية ، كانت تحت سافع بن مسافع ابن صفوان المصطلق ، كانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري في غزوة المُرَيْسِع - وهي غزوة بني المصطلق - ستة خمس وقيل : ست ، وكاتب ثابتاً على نفسها .

ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا جويرية رضي الله عنها بنت الحارث ، وكان من أمرى ما لا يخفى عليك ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ، وإني كاتب على نفسي فجئت أسألك في كتابتي . فقال لها رسول الله ﷺ : « هل لك فيما هو خير لك ؟ » .

قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أوفي عنك كتابتك وأتزوجك »<sup>(١)</sup> .

قالت : قد فعلت .

وتسارع الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية فأرسلوا ما بأيديهم من السبي فأعتقوهم وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ .

(١) وقد أورد ابن هشام رواية ثانية مفادها أن : برة بنت الحارث « جويرية فيما بعد » سبيت أثناء غزوة بني المصطلق ، فلما قدم النبي ﷺ من الغزوة أقبل الحارث بن ضرار بفدائها ولما وصل العقيق رغب في بيعيرين من الإبل التي ساقها للفداء ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي ﷺ ، وقال : يا محمد لقد أصتم ابتي وهذا فداؤها . فقال له النبي ﷺ : « أين البعيران اللذان غيبت بالعقيق ؟ » .

فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فوائله ما اطلع على ذلك إلا الله . فأسلم الحارث وقومه وخطب عنده النبي ﷺ جويرية فزوجها منه .

قالت عائشة : فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها . أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق<sup>(١)</sup> ، أخرجه أبو داود من حديث عائشة .

وقال ابن هشام<sup>(٢)</sup> ومقاتل : اشتراها عليه الصلاة والسلام من ثابت وأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم . وعن ابن شهاب : سبأها ﷺ يوم المُرَيْبِيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة ، وكان اسمها بُرّة فحولها ﷺ وسماها جويرية ، كما تقدم في زينب بنت جحش .

وَرَوَى ابن سعد عن أبي قلابة قال : جاء أبو جويرية فقال : لا يسبي مثلها فُحِّلَ سبيلها . فقال عليه الصلاة والسلام : « بل أخبرها » . قال : قد أحسنت ، فأتى أبوها إليها فقال : إن هذا الرجل قد خَيْرَك فلا تفضحيننا . قالت : إني أختار الله ورسوله<sup>(٣)</sup> .

وروى الطبراني مرسلًا برجال الصحيح عن الشعبي قال : كانت جويرية ملك النبي ﷺ ، فأعتقها وجعل عتقها صداقها ، وأعتق كل أسير من بني المصطلق<sup>(٤)</sup> .

وروى الطبراني برجال الصحيح عن مجاهد قال : قالت جويرية لرسول الله ﷺ : إن أزواجك يَفْخَرْنَ عليّ وَيَقْلُنَّ لم يتزوجك رسول الله ﷺ . فقال : « ألم أعظم صداقك ، ألم أعتق أربعين من قومك ؟ »<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه أبو داود [٢٩٣١] بلفظ : « فهل لك إلى ما هو خير منه ؟ . . . . أودى عنك كتابك وأتزوجك » . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود [٢٣٢٧] .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام [٢٩١/٣] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١١٨/٨] بلفظ : « رأيت إن خيرناها ، أليس قد أحسنا ؟ » .

(٤) رواه الطبراني في الكبير [١٥٤/٢٤] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٣/٩] : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .

(٥) رواه الطبراني في الكبير [١٥٥/٢٤] بلفظ : « أولم أعظم . . . » ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٣/٩] : رواه الطبراني مرسلًا ، ورجاله رجال الصحيح .

توفيت في ربيع الأول سنة خمسين وقيل : ست وخمسين<sup>(١)</sup> ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة ، وقد بلغت من السن سبعين سنة<sup>(٢)</sup> .



(١) تاريخ خليفة بن خياط [ ص : ١٣٨ ] .

(٢) قال الذهبي : جاء لها سبعة أحاديث : منها عند البخاري حديث . وعند مسلم حديثان . حدث عنها : ابن عباس ، وعبيد بن السباق ، وكريب ، ومجاهد ، وأبو أيوب يحيى ابن مالك الأزدي وآخرون .

سير أعلام النبلاء [ ٢ / ٢٦١ ] .

قلت : حديثها في البخاري رقم [ ٣٥٩٨ ] ، ومسلم رقم [ ١٠٧٣ ] ، و [ ٢٧٢٦ ] .

## أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان

رضي الله تعالى عنها

« أقرب نسائه ﷺ منه نبياً وأكثرهن صداقاً »

هي أم حبيبة زملئة بنت أبي سفيان ضحري بن حرب بن أمية بن عبد شمس<sup>(١)</sup> ، وقيل : اسمها [هند] والأول أصح ، أمها صفية بنت أبي العاص ، وكانت تحت عبید الله بن جحش ، وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم تنصرت وارتدت عن الإسلام والعبادة بالله تعالى فمات على التُصْرانية ، وكان يقول للمسلمين : صأصأتم وأبصرنا<sup>(٢)</sup> وثبتت زوجته أم حبيبة هذه على الإسلام .

واختلِفَ في نكاح رسول الله ﷺ إياها وموضع العقد ، فقيل : إنّه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست<sup>(٣)</sup> ، روى أنّه عليه الصلاة والسلام بعث عمرو

(١) قال الذهبي : وهي من بنات عم الرسول ﷺ ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها ، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها . سير اعلام النبلاء [٢/٢١٩] .

(٢) صأصأ الجرو : إذ حرك أجنانه وحاول فتحها قبل أوانها .

لسان العرب [١/١٠٧] .

وروى عنها رضي الله تعالى عنها : أنها رأت في المنام عبید الله زوجها بأسوأ صورة وأشوهها ، ففرغت وولدت : تُعْبِرَتْ واللّه حاله ! فإذا هو يقول حيث أصبح : إني نظرت في الدين ، فلم أزد ديناً خيراً من التُصْرانية ، وكنت قد بنتُ بها ، ثم دخلت في دين محمد ، وقد رجعت ، فأخبرته بالرويا ، فلم يُخفِلْ بها ، وأكب على الخمر .

قالت : فأريت قائلاً يقول : يا أم المؤمنين ، ففرغت ، فأولئها أن رسول الله ﷺ يتزوجني .

والقصة بطولها في طبقات ابن سعد [٨/٩٧] ، والمستدرک [٤/٢٠، ٢٢] .

وقال الذهبي في السير [٢/٢٢١] : منكرة .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ، وقيل سنة سبع . تاريخ الطبري [٢/٤١٥] .

بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه ، فزوجه إياها وأصدقها النجاشي عنه عليه الصلاة والسلام أربعمائة دينار<sup>(١)</sup> ، وبعت بها إليه مع شرحبيل بن حسنة .

وروى أن النجاشي أرسل إليها جارية أبرهة فقالت لها : إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجك منه ، فأرسلت أم حبيبة إلى خالد بن سعيد ابن العاص فوكلته<sup>(٢)</sup> ، وأعطت جارية أبرهة سوارين ، وخواتم من فضة سروراً بما بشرتها به ، فلمّا كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا ، فخطب النجاشي فقال :

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أوجبت ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقته أربعمائة دينار ذهباً ، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد ابن سعيد بن العاص فقال :

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أوجبت إلى ما دعا به رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ .

ودفعت الدنانير إلى خالد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشي : اجلسوا ، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا<sup>(٣)</sup> .

وكان ذلك في المحرم سنة سبع على ما قاله الشمس البرماوى . وقد

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٨/٨] ، [٩٩] ، والحاكم في المستدرک [٢٢/٤] . وقال الذهبي : هذا حديث صحيح الإسناد وعليه العمل .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٩/٨] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٩٨/٨] .

قيل : إن عقد النكاح عليها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة ، والمشهور الأول<sup>(١)</sup> .

وكان أبوها أبو سفيان حال نكاحها بمكة مشركاً محارباً لرسول الله ﷺ ، فقال لما بلغه تزوجه ﷺ بها : مَثَلُ ذَلِكَ الْفَحْلِ لَا يُفْرَعُ<sup>(٢)</sup> أَنفَهُ .

(١) قال ابن حجر في الإصابة : روت أم حبيبة عن النبي ﷺ أحاديث . وعن زينب بنت جحش أم المؤمنين .

روت عنها بنتها حبيبة ، وأخواها : معاوية ، وعتبة ، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان ، وأبو سفيان بن سعيد بن المعيرة ، بن الأخنس الثقفي ، وهو ابن أختها ، ومواليها : سالم ابن سواد ، وأبو الجراح ، وصفية بنت شيبة ، وزينب بنت أم سلمة ، وعروة بن الزبير ، وأبو صالح السمان ، وآخرون .

وأخرج ابن سعد ، من طريق عوف بن الحارث ، عن عائشة ؛ قالت : دعيتني أم حبيبة عند موتها ؛ فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فتحليلتني من ذلك فحللتها ، واستغفرت لها ؛ فقالت لي : سررتني سرّك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة بعثلك ذلك ، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين ، جزم بذلك ابن سعد ، وأبو عبيد . وقال ابن حبان ، وابن قانع : سنة اثنتين .

وقال ابن أبي شيعة : سنة سبع وخمسين ، وهو بعيد . والله أعلم .

الإصابة (٧/٦٥٤) .

وفي أعلام النساء : روت عن رسول الله ﷺ ، وزينب بنت جحش خمسة وستين حديثاً ، أخرج لها في الصحيحين أربعة أحاديث ، وانفقا على حديثين ولمسلم مثلها .

أعلام النساء (١/٤٦٤) .

وروى ابن سعد قال : قدم أبو سفيان المدينة ، فأراد أن يزيد في الهدنة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه ، فقال : يا بشية أرغبت بهذا الفراش عني ، أم بي عنه ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت امرؤ نجس مشرك .

فقال : لقد أصابك بعدي شر .

الطبقات الكبرى لابن سعد [٨/٩٩، ١٠٠] ، الإصابة (٧/٦٥٣) ، سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٣) ، السيرة النبوية لابن هشام [٤/١٣] ، أعلام النساء (١/٤٦٤) .

(٢) انظر : الإصابة (٧/٦٥٢) .

وفي النهاية : يقال : فدعت الفحل ، وهو أن يكون غير كريم ، فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكف ، ويروى بالراء (٤/٢٤) .

توفيت سنة أربع وأربعين<sup>(١)</sup> .



(١) في روايات ابن سعد ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ، والياقيني ، والحاكم ، وابن عساكر وغيرهم ، وقيل : سنة [٤٢هـ] ، في رواية ابن حبان وابن قانع كما في تهذيب التهذيب ، وقيل : سنة [٥٩هـ] في رواية ابن أبي خيثمة ، كما في الكمال في معرفة الرجال للمقدسي ، وقيل سنة [٥٠هـ] ، وقيل : سنة [٥٥هـ] كما في شرح الزرقاني .

نقل عن أعلام النساء [١/٤٦٥] .

## أم المؤمنين صفية بنت حني

رضي الله تعالى عنها

« أبوها هارون وعمها موسى وزوجها محمد ﷺ »

هي صفية بنت حني بن أخطب بن سعية ، بن ثعلبة بن عبدة من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup> .

وأما هرة ابنة السموال ، كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق ، قُتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة . قال أنس : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر وجمع السبي جاءه دحية بن خليفة الكلبي فقال : يا رسول الله أعطني جارية .

فقال : « اذهب فخذ جارية » . فأخذ صفية بنت حني .

(١) قال الذهبي : صفية أم المؤمنين بنت حني بن أخطب بن سعية ، من سبط اللاوي ابن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ، عليهم السلام ، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام .

سير اعلام النبلاء [٢/٢٣١] .

قال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير ، عنه : حدثني والدي إسحاق بن يسار : قال : لما فتح رسول الله ﷺ الغموص حصن بني أبي الحقيق أتى بصفية بنت حني ومعها ابنة عم لها جاء بهما بلال ، فمرَّ بهما على قتلى يهود ، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صكَّت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها ، فقال رسول الله ﷺ : « أعزبوا بهذه الشيطانة عني » ، وأمر بصفية فجعلت خلفه وغطى عليها ثوبه ، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه ، وقال بلال : « أنزعت الرحمة من قلبك حين تعز بالمرأتين على قتلاهما ؟ » وكانت صفية رأت قبل ذلك أن القصر وقع في جذعها ، فذكرت ذلك لأمها ، فلطمت وجهها ، وقالت : إنك لتعذبن عنفك إلى أن تكوني عند ملك العرب ، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عنه فأخبرته .

الإصابة [٧/٧٣٩] .

فجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة فريضة والنضير ما تصلح إلا لك .

قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال : « خذ جارية من السبي غيرها » .

قال : فأعتقها وتزوجها .

فقال له ثابت : يا أبا حمزة - يعنى أنس بن مالك ، فإنه كان يكنى بأبي حمزة ، وهو الراوى - ما أصدقها ؟

قال : نفسها ، أعتقها وتزوجها . ثم نادى : من كان عنده شيء فليجئ به .

قال : فبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء بالأقط ، وجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن ، فحاسوا حنساً ، فكانت وليمة رسول الله ﷺ .

وفي رواية : فقال الناس : لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد ؟ قالوا : إن حجبها فهي امرأة وإن لم يحجبها فهي أم ولد . فلما أراد أن يركب حجبها . ورجعنا إلى المدينة فرأيت عليه الصلاة والسلام يحوى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيرها فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب ، ثم انطلقت حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليه فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله ﷺ مطيته ، قال : وصفية خلفه قد أردفها ، قال : فعثرت مطية رسول الله ﷺ فضرع وضرعت . قال : فليس أحدٌ من الناس ينظر إليه وإليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها . قال : فدخلنا المدينة ، فخرجن جواري نساته يتراءىنها ويشمتن بصرعتهما<sup>(١)</sup> . رواه الشيخان . وهذا لفظ مسلم .

(١) أخرجه البخاري [٢٨٩٣] ، ومسلم [١٣٦٥/٨٤، ٨٦] .

قال النووي : قوله : « فجاءه دحية إلى قوله : فأخذ صفية بنت حبي » أما « دحية » فبفتح الدال وكسرها ، وأما « صفية » فالصحيح أن هذا كان اسمها قبل السبي ، وقيل : كان اسمها « زينب » فسميت بعد السبي والاصطفاء « صفية » . قوله : « أعطيت دحية صفية بنت حبي سيد فريضة والنضير ما تصلح ، إلا لك » ، قال : « ادعوه بها » ، قال : فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال : « خذ جارية من السبي غيرها » قال المازري وغيره :  
يحتمل ما جرى مع دحية وجهين :

وروى جابر أنه ﷺ أتى بصفية يوم خيبر وأنه قتل أباه وأخاه ، وأن

أحدهما : أن يكون رد الجارية برضاها وأذن له في غيرها .

والثاني : أنه إنما أذن له في جارية له من حشو السبي لا أفضلهن ، فلما رأى النبي ﷺ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسباً وشرفاً في قومها وجسالا استرجعها ؛ لأنه لم يأذن فيها ، ورأى في إبقائها لدحية مفسدة لتمييزه بعثها على باقي الجيش ، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها ، وكونها بنت سيدهم ، ولما يخاف من استعلائها على دحية بسبب مرتبتها ، ورثها ترتب على ذلك شقاق أو غيره ، فكان أخذه ﷺ إيهاها لنفسه قاطعاً لكل هذه المفسدات المستخرقة ، ومع هذا فعوض دحية عنها .

وقوله في الرواية الأخرى : « أنها وقعت في سهم دحية فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس » يحتمل أن المراد بقوله : « وقعت في سهمه » أي حصلت بالإذن في أخذ جارية ؛ ليوافق باقي الروايات .

وقوله : « اشتراها » أي أعطاه بدلها سبعة أنفس نظيماً لقلبه لا أنه جرى عقد بيع ، وعلى هذا تنتفق الروايات ، وهذا الإعطاء لدحية محمول على التنفيل ، فعلى قول من يقول : التنفيل يكون من أصل الغنمة لا إشكال فيه ، وعلى قول من يقول : إن التنفيل من خمس الخمس يكون هذا التنفيل من خمس الخمس يعد أن ميز أو قبله ويحسب منه ، فهذا الذي ذكرناه هو الصحيح المختار .

وحكى القاضي معني بعضه ثم قال : والأولى عندي أن تكون صفية فيما ؛ لأنها كانت زوجة كنانة بن الربيع ، وهو وأهله من بني أبي الحقيق كانوا صالحوا رسول الله ﷺ ، وشرط عليهم ألا يكتموا كتراً فإن كتموه فلا ذمة لهم . وسألهم عن كتر حبي ابن أخطب ، فكتموا وقالوا : أذهيته النفقات ، ثم عثر عليه عندهم ، فانتقض عهدهم فسباهم ، ذكر ذلك أبو عبيد وغيره ، فصفية من سيهم فهي فن لا بخمس ، بل يفعل فيه الإمام ما رأى . هذا كلام القاضي ، وهذا تفريع منه على مذهبه أن الفن لا بخمس ، ومذهبا أنه بخمس كالغنمة . والله أعلم .

قوله : « فقال له ثابت : يا أبا حمزة ما أصدقها ؟ قال : نفسها أعتقها وتزوجها » فيه أنه يستحب أن يعتق الأمة ويتزوجها ، كما قال في الحديث الذي بعده « له أجران » .

وقوله : « أصدقها نفسها » اختلف في معناه ، فالصحيح الذي اختاره المحققون أنه أعتقها تبرعاً بلا عوض ولا شرط ، ثم تزوجها برضاها بلا صداق ، وهذا من خصائصه ﷺ أنه يجوز نكاحه بلا مهر ، لا في الحال ولا فيما بعد ، بخلاف غيره ، وقال بعض أصحابنا : معناه أنه شرط عليها أن يعتقها ويتزوجها ، فقبلت فلزمها الوفاء به ، وقال بعض أصحابنا : أعتقها وتزوجها على قيمتها وكانت مجهولة ، ولا يجوز هذا ولا الذي قبله لغيره ﷺ ، بل هنا من الخصائص كما قال أصحاب القول الأول .

واختلف العلماء فيمن احتق أمته على أن يتزوج به ، ويكون عتقها صداقها ، فقال الجمهور :

بلاّ مر بها بين المقتولين ، وأنه ﷺ خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقي

= لا يلزمها أن تتزوج له ، ولا يصح هذا الشرط ، ومن قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن وزفر .

قال الشافعي : فإن أعتقها على هذا الشرط فقبلت أعتقت ، ولا يلزمها أن تتزوجه ، بل له عليها قيمتها ؛ لأنه لم يرض بعقدها مجاناً ، فإن رضيت وتزوجها على مهر يتفقان عليه فله عليها القيمة ، ولها عليه المهر المسمى من قليل أو كثير ، وإن تزوجها على قيمتها فإن كانت القيمة معلومة له ولها ، صح الصداق ، ولا تنفي له عليها قيمة ولا لها عليه صداق ، وإن كانت مجهولة فقيه وجهان لأصحابنا :

أحدهما : يصح الصداق كما لو كانت معلومة ؛ لأن هذا العقد فيه ضرب من المسامحة والتخفيف . وأصحهما - وبه قال جمهور أصحابنا - : لا يصح الصداق ، بل يصح النكاح . ويجب لها مهر المثل .

وقال سعيد بن المسيب ، والحسن ، والنخعي ، والزهري ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبو يوسف ، وأحمد ، وإسحاق : يجوز أن يعتقها على أن تتزوج به ، ويكون عتقها صداقها ، ويلزمها ذلك ، ويصح الصداق على ظاهر لفظ هذا الحديث ، وتأوله الآخرون بما سبق .

قوله ﷺ : « من كان عنده شئ فليجئني به » ، وفي بعض النسخ « فليجيء به » بغير نون فيه دليل لوليمة العرس ، وأنها بعد الدخول ، وقد سبق أنها تحوز قبله وبعده .

وفيه : إيدال الكبير على أصحابه ، وطلب طعامهم في نحو هذا . وفيه : أنه يستحب لأصحاب الزوج وجيرانه مساعدته في وليمة بطعام من عندهم .

قوله : « ويسط نطعاً » فيه أربع لغات مشهورات : فتح التون وكسرهما مع فتح العطاء وإسكانها ، أفصحهن : كسر التون مع فتح العطاء ، وجمعه نطوع وأنطاع .

قوله : « فجعل الرجل يجيء بالأقط » وجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حياً ، « الحيس » هو الأقط والتمر والسمن يخلط ويعجن ، ومعناه : جعلوا ذلك حياً ثم أكلوه .

قوله : « فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق حتى جعلوا من ذلك سواداً حياً » السواد بفتح السين ، وأصل السواد الشخص ، ومنه في حديث الإسراء : « رأى آدم عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة أي أشخاصاً » والمراد هنا حتى جعلوا من ذلك كوماً شاخصاً مرتفعاً فخلطوه وجعلوا حياً .

قوله : « حتى إذا رأينا جذر المدينة هشنا إليها » هكذا هو في النسخ « هشنا » بفتح الهاء وتشديد الشين المعجمة ثم نون ، وفي بعضها : « هشنا » بشين الأولى مكسورة مخففة ، ومعناها : نشطنا وخففنا وانبعث نفوسنا إليها ، يقال منه : « هششت » بكسر الشين في المعاشي ، وفتحها في المضارع ، وذكر القاضى الروابئين السابقين ، قال : والرواية =

من أهلها أو تسلم فيتحذها لنفسه ، فقالت : أختار الله ورسوله . أخرج في الصفوة .

وأخرج ثمام في فوائده من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها :

« هل لك فيي ؟ » قالت : يا رسول الله لقد كنت أتمني ذلك في

الشرك ، فكيف إذ أمكنني الله منه في الإسلام ؟ !

وأخرج أبو نعيم من حديث ابن عمر : رأي رسول الله ﷺ بعين صفة

خضرة فقال : « ما هذه الخضرة ؟ » فقالت : كان رأسي في حجر أبي

الحقيق وأنا نائمة فرأيت قمرا وقع في ججري ، فأخبرته بذلك فلطمني

وقال : تصنين ملك يثرب<sup>(١)</sup> .

وبنى بها ﷺ لما بلغ سدّ الصهباء ، فصنع خيساً في نطع . قال أنس :

وأمرني فدعوت له من حوله فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ . وروى عن

صفة رضي الله تعالى عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي ،

فقال : « يا ابنة حبي ما يبكيك ؟ » قالت : بلغني أن حفصة وعائشة يتالان

= الأمل على الإدغام لالتقاء المثليين ، وهي لغة من قال : هزت سيفي ، وهي لغة بكر بن

وائل ، قال : ورواه بعضهم « هشنا » بكسر الهاء وإسكان الشين ، وهو من هاش بهش

بمعنى هش .

قوله : « فخرجن جواري نساءه » أي صغيرات الأسنان من نسائه . قوله : « بشتنن » هو

يفتح الياء والميم .

قوله : قبل هذا : « إن حجبتها فهي امراته » استدلت به المالكية ومن وافقهم على أنه

يصح النكاح بغير شهود إذا أعلن<sup>(١)</sup> ، لأنه لو أشهد لم يخف عليهم ، وهذا مذهب جماعة

من الصحابة والتابعين وهو مذهب الزهري ، ومالك وأهل المدينة شرطوا الإعلان دون

الشهادة ، وقال جماعة من الصحابة ومن بعدهم : تشترط الشهادة دون الإعلان ، وهو

مذهب الأوزاعي والثوري والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم ، وكل هؤلاء بشرطون

شهادة عدلين إلا أبا حنيفة فقال : يتعقد بشهادة فاسقين ، واجمعت الأمة على أنه لو عقد

سراً بغير شهادة لم يتعقد ، أما إذا عقد سراً بشهادة عدلين فهو صحيح عند الجمهور ،

وقال مالك : لا يصح . والله أعلم .

شرح النووي على مسلم (٥/٢٣٩-٢٤٣) بتصرف .

(١) رواه الطبراني في الكبير [١٧٧/٢٤] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/٢٥٤] : رجاله رجال الصحيح .

مني ويقولان : إنا نحن خير منها ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه . قال : « ألا قلت لهنّ كيف تكُنّ خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمّد ﷺ ؟ » (١) .

وروى أبو يعلى بأسانيد رجال الصحيح عن صفية رضي الله تعالى عنها قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إليّ منه ، قتل أبي وزوجي ، فما زال يعتذر إليّ ويقول : « يا صفية إن أباك ألب عليّ العرب ، وفعل وفعل » ، حتّى ذهب ذلك من نفسي ، فما قمت من مقعدي ومن الناس أحد أحب إليّ منه (٢) . قلت : حديث أبي يعلى هذا يشكل على الحديث الذي أخرجه تمام إذ صريح حديثه تمنّيها النبي ﷺ لمحبتها إياه ، ومفهوم هذا صريح الكراهة وتبيين سببها ، والله أعلم ، فلينظر وجه التوفيق بينهما .

وفي رواية عنها قالت : ما رأيت أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ، رأيت ركب بي من خيبر على عجز ناقته ليلاً ، فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخر الرجل ، فيقول : « يا هذه مهلاً بابنة حبي » ، حتّى إذا جاء سدّ الصهباء قال : « أما إني اعتذر يا صفية ممّا صنعت بقومك ، إنهم قالوا لي كذا وكذا » (٣) .

وروى أبو عمرو الملا في سيرته عنها قالت : حج رسول الله ﷺ بنسائه . فلمّا كان ببعض الطريق برك جملي ، وكنت من أحسنهنّ ظهراً فبكيت ، فجاء عليه الصلاة والسلام فجعل يمسح دموعي بردائه ويديه ، وجعلت لا أزداد إلا بكاءً ، وهو ﷺ ينهاني ، فلمّا أكثرت زبرني (٤) .

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٢٧/٨] .

(٢) رواه أبو يعلى [٧١١٤] بلفظ : « إن قومك صنعوا كذا وكذا » ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٥/٩] : رجاله رجال الصحيح إلا أن حميد بن هلال لم يدرك صفية ، وبقية رجاله ثقة .

(٣) رواه أبو يعلى [٧١٢٠] ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٥/٩] : في رجاله ربيع ابن أخي صفية ، ولم أعرفه . وبقية رجاله ثقة .

(٤) زَبَرَهُ : نهاه وانتهره .

وروى أبو عمرو أن جارية لصفية قالت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : إن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث إليها عمر فسألها ، فقالت : أما السبت فإنني لا أحبه منذ أبدلني الله يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان . قالت : اذهبي فأنت حرة .

توفيت رضي الله تعالى عنها في رمضان سنة خمس وخمسين وقيل : سنة اثنتين وخمسين ، ودفنت بالبقيع مع صواحيبها من أزواج النبي ﷺ . قال ابن أبي خيثمة : بلغني أنها ماتت زمن معاوية ، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض ، وأوصت لابن أخيها بالثلث ، وكان يهودياً<sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن حجر في الإصابة : أخرج ابن سعد عن الواقدي بأسانيد له في قصة خيبر ، قال : ولم يخرج من خيبر حتى طهرت صفية من حبسها فحملها وراه ، فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مأل يريد أن يعرض بها فأبث عليه فوجد في نفسه .

فلما كان بالصهراء وهي على يريد من خيبر نزل بها هناك فمشطتها أم سليم وعطرتها ، قالت أم سنان الأسلمية : وكانت من أضوأ ما يكون من النساء ، فدخل على أهله ، فلما أصبح سألها عما قال لها . فقالت : قال لي : ما حملك على الامتناع من النزول أولاً ؟ فقلت : خشيت عليك من قُرب اليهود ، فزادها ذلك عنده<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن سعد أيضاً : أخبرنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن سمية ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان في سفر فاعتل بعير لصفية ، وفي إبل زينب بنت جحش فضل ، فقال لها : إن بعيراً لصفية اعتل ، فلو أعطيتها بعيراً .

فقالت : أنا أعطي تلك اليهودية !

فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها .

قالت زينب : حتى يشت منه<sup>(٣)</sup> .

وذكر ابن سعد من طريق عطاء بن يسار ، قال : لما قدمت صفية من خيبر أنزلت في بيت لعائشة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجنن ينظرن إلى جمالها ، وجاءت عائشة متفتحة ، فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها ، فقال : كيف رأيت يا عائشة ؟ قالت : رأيت يهودية . فقال : لا تقول ذلك ، فإنها أسلمت وحسن إسلامها<sup>(٤)</sup> . وأخرج بسند =

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٢١/٨] .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٢٧، ١٢٩/٨] .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٢٦/٨] .

صحيح من مرملة سعيد بن المسيب ، فقال : قدمت صفيّة وفي أذنها خُرصة من ذهب ، فوهبت منه لفاطمة ونساء معها <sup>(١)</sup> .

وأخرج ابن سعد بسند حسن ، عن زيد بن أسلم ، قال : اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه ، واجتمع إليه نساؤه ، فقالت صفيّة بنت حيي : إني والله يا نبي الله لو ددت أن الذي بك بي ، ففعمرون أزواجه يبصرهن .

فقال : مضمضن .

فقلن : من أي شيء ؟

فقال : من تغامزكن بها ، والله إنها لصادقة <sup>(٢)</sup> .

روى صفيّة عن النبي ﷺ ، وروى عنها ابن أخيها ومولاهما كنانة ومولاهما الآخر يزيد ابن معتب ، وزين العابدين بن علي بن الحسين ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث ، ومسلم بن صفوان <sup>(٣)</sup> .

فيل : ماتت سنة ست وثلاثين ، حكاه ابن حبان ، وجزم به ابن منده ، وهو غلط ، فإن علي بن الحسين لم يكن وُلد ، وقد ثبت سماعه منها في الصحيحين .

وقال الواقدي : ماتت سنة خمسين ، وهذا أقرب .

وقد أخرج ابن سعد من حديث أمية بنت أبي قيس البغارية بسند فيه الواقدي قالت : أنا إحدى النسوة اللاتي زُففن صفيّة إلى رسول الله ﷺ ، فسمعتها تقول : ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله ﷺ <sup>(٤)</sup> .

قال : وتوفيت صفيّة سنة اثنين وخمسين في خلافة معاوية .

الإصابة [٧/٦٣٩-٦٤٢] .

وقال الشنيطي : ولما أسلمت صفيّة نسيب كل شيء من أمر قومها ، وانمحت في بيوت النبي ﷺ ، ومن الطريف أن نلاحظ أنه قد كانت بينها وبين رسول الله ﷺ علاقات خاصة لم تكن بينه وبين سائر نساؤه . ونراه وهو معتكف في المسجد لا يرغب أن يخالط نساءه فكان لا يأتي لبيته إلا لحاجة ، وقد أراد مرة الاعتكاف في رمضان ورأى أخبية حول المسجد وفيها عائشة وحفصة وزينب بنت جحش . فأنكر ذلك عليهن وقال : « أكبر ثرون بهن ؟ » <sup>(٥)</sup> =

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/١٢٧] .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/١٢٨] .

(٣) وروى صفيّة عن النبي ﷺ عشرة أحاديث ، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد مثقن عليه . أعلام النساء [٢/٣٣٦] .

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٨/١٢٩] .

(٥) أخرجه البخاري [٢٠٣٣] .

وترك الاعتكاف . ولكننا نراه في المسجد معتكفا وتزوره نساءه ولما يردن الذهاب بأمر صفية بنت حيي أن تبقى معه ساعة ، وحين تريد الذهاب من عنده يخرج معها يشيخها إلى باب المسجد ، ويمر به رجلان من الأنصار ويسلمان عليه ويريدان الانصراف ولكن رسول الله ﷺ ، يقول لهما : « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » ويكبر هذا الاعتناء عليهما ويقولان : سبحان الله يا رسول الله . غير أنه يذكرهما أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم<sup>(١)</sup> . بقي هذا الحادث نرى أمرين :

أحدهما : تلك العلاقة الخاصة التي بينه وبين زوجته صفية .

والثاني : حرصه على أن يتجنب المسلمون مقادير التهم ، وموارد الشيطان .

ونجد هذه العلاقة فيما كان يخاطبها به الرسول عليه الصلاة والسلام . لقد كان يوجه إليها عبارات ظاهرها الدعاء عليها وهي في الحقيقة خطاب المقربين ، ففي حجها معه بلغه أنها لا تستطيع أن تظوف فقال النبي ﷺ : « خلقي عقرى أو حابستا هي<sup>(٢)</sup> » ، وقد ورد نوع هذه العبارة لعائشة في قوله لها : « تويت بمينك<sup>(٣)</sup> » ، كما قال لأبي بصير : « ويل أمه صحت حرب<sup>(٤)</sup> » . فهذه العبارات تدل إما على نوع من الإعجاب مثل ما يخص أبا بصير أو نوع من إظهار القرب وإنسقاط التحفظ مثل ما وقع لصفية وعائشة .

وهذه هي صفية بنت حيي التي اصطفها الله لرسوله واصطفها الرسول لتفهم معه ثلاث سنين وثمناً بعده في بيوته ستاً وعشرين سنة والتحققت به وبشئ اسمها خالفاً حياً بين أسماء أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعنهن جميعاً<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه البخاري [٢٠٣٥] .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري [٥٣٢٩] ومسلم [٣٨٧/١٢١١] .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري [١٣٠] ، ومسلم [٦/١٢٤٥] .

(٤) وواء البيهقي في الكبرى [١٨٦١١/٢٢٧/٩] .

(٥) في موكب السيرة [ص: ٧٠، ٦٨] .

## أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث

رضي الله تعالى عنها

« آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ »

هي ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وأُمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من ولد حماطة بن حمير ، تزوجها عليه الصلاة والسلام لما كان بمكة معتمراً سنة سبع بعد غزوة خيبر ، وكانت أختها الثانية أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث تحت العباس بن عبد المطلب ، وأختها لأمها الثالثة أسماء بنت عميس تحت جعفر ، وسلمى أختها الرابعة بنت عميس تحت حمزة ، وكانت قد جعلت أمرها إلى العباس زوج أختها فأنكحها النبي ﷺ وهو محرم ، فلما رجع بني بها بسرف<sup>(١)</sup> حلالاً . ذكره أبو عمرو .

وفي الصحيح من أفراد مسلم عنها أنه عليه الصلاة والسلام تزوجها وهو حلال<sup>(٢)</sup> .

زاد البرقاني بعد قوله تزوجها : وبني بها حلالاً . فيحمل قوله : وهو محرم على أنه داخل في الحرم ، ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ، ثم خرج منه إلى سرف وابتنى فيه وهو على عشرة أميال من مكة .

قلت : وهو محل على يمين الداخل إلى مكة ، كان دائراً فعُمره الشيخ - العلامة المرحوم - محمّد بن سليمان المغربي فيما عمر من المآثر رحمه الله تعالى .

كانت ميمونة قبله عليه الصلاة والسلام تحت أبي رهم بن عبد العزّي ،

(١) سرف : هو - بكسر الراء - موضع من مكة على عشرة أميال ، وقيل : أقل أو أكثر .

لسان العرب [٩/١٥٠] .

(٢) أخرجه مسلم [٤٨/١٤١١] .

وقيل : بل تحت أخيه عبد الله ، وقيل : بل تحت حويطب بن عبد العزي .  
ويقال : إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وذلك أن خطبته عليه الصلاة  
والسلام جاءت بها وهي على بعيرها فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله .  
وقيل : الواهية نفسها غيرها .

وكان اسمها بُرّة فسماها النبي ﷺ ميمونة ، وهي خالة ابن عباس  
وخالد ابن الوليد وأخواتها أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج  
العباس بن عبد المطلب أم ابن عباس ولبابة الصغرى بنت الحارث كانت  
تحت أبي بن خلف الجُمحي فولدت له علي بن أبي ، وعزّة بنت الحارث  
كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي ، فهؤلاء إخوتها لأبيها  
وأما ، ولها أخوات من أمها :

**الأولى :** أسماء بنت عُميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد  
الله ومحمّدًا وعونًا ، ثمّ لما قتل في غزوة مؤتة - اسم لمكان - خلف  
عليها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فولدت له محمّد بن أبي  
بكر ، ثمّ خلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فولدت  
له يحيى .

**الثانية :** سلمى بنت عُميس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب فولدت له  
أمة الله بنت حمزة ، وقيل : أمامة بنت حمزة ، ثمّ خلف عليها شداد  
بن أسامة ابن الهادي الليثي ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن .

**الثالثة :** سلامة بنت عُميس كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه  
الخنعمي .

**الرابعة :** زينب بنت خزيمة كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم  
أحد فتزوجها ﷺ وهي المسماة - أم المساكين - كما تقدم ذكر ذلك  
في ترجمتها .

وكان يقال أكرم أصهار عجزوز في الأرض هند بنت عوف بن زهير بن  
الحارث أم ميمونة المذكورة وأم أخواتها ، أصهارها : العباس وحمزة ابنا  
عبد المطلب ، الأول : علي لبابة الكبرى بنت الحارث منها ، والثاني :

على سلمى بنت عميس منها ، وجعفر وعلى ابنا أبي طالب كلاهما على أسماء بنت عميس ، الأول : قبل أبي بكر ، والثاني : بعد أبي بكر ، وشداد بن أسامة بن الهادي الليثي على سلمى بنت عميس منها بعد وفاة حمزة بن عبد المطلب ورسول الله ﷺ علي بنتها زينب بنت خزيمة ، كذا في السمط الثمين<sup>(١)</sup> في مناقب أمهات المؤمنين بتصرف حسن يسير .

زَوْج النَّبِيِّ ﷺ ميمونة ، عمه العباس بن عبد المطلب كما تقدم ذكره وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

قال ابن إسحاق : كان صداق نساءه عليه الصلاة والسلام أربعمئة درهم<sup>(٢)</sup> .

وروى مسلم عن عائشة قالت : كان صداق رسول الله ﷺ لأكثر نساءه اثنتي عشرة أوقية ونشأ . قالت : أتدرى ما النش ؟ قلت : لا . قالت : نصف أوقية . فذلك خمسمئة درهم ، فذلك صداق رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> .

قال في تاريخ الخميس : وهذا أولى بالصحة ؛ لأنه متفق على صحته ولأن راويه معه زيادة علم ، كذا في السمط الثمين .

وروى ابن أبي خيثمة : أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في عمرة القضاء ، وأقام بمكة ثلاثاً ، وكان قد شرطت عليه قريش حين صدوه أن يأتي معتمراً في العام القابل ، السيوف في القرب ، وأن لا يعتصر غير ثلاث ، فلما جاء خطب ميمونة وأقام بمكة ثلاثاً .

وأناه حويطب بن عبد العزي في نفر من قريش في اليوم الثالث فقالوا : إنه قد انتضي أجلك فاخرج عنا .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لو تركتموني فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاماً فحضرتموه » ، فقالوا : لا حاجة لنا بطعامك فاخرج ، فخرج ميمونة بنت الحارث حتى أعرس بها بسرف .

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين [ ص : ١٩٢ ] .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام [ ٣٥٠ / ٤ ] .

(٣) أخرجه مسلم [ ٧٨ / ١٤٢٦ ] .

ماتت رضي الله تعالى عنها بسرف أيضاً وهو الموضع الذي بني بها رسول الله ﷺ فيه ، ودفنت في موضع قبتها التي ضربها لها رسول الله ﷺ حين البناء بها ، وذلك سنة إحدى وستين<sup>(١)</sup> .

وروى الطبراني برجال ثقة عن محمد بن إسحاق قال : ماتت ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ عام الحرة سنة ثلاث وستين<sup>(٢)</sup> ، وصلى عليها

(١) رواه الطبراني في الكبير [١٠٢١/٢٣] . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٢/٩] وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقة .

(٢) وفي السير : عن يزيد بن الأصم ، قال : دفنا ميمونة بسرف في الطلعة التي بني بها فيها رسول الله ﷺ ، وقد كانت حلفت في الحج . نزلت في قبرها ، أنا وابن عباس<sup>(١)</sup> .

وعن عطاء : ثوفيت ميمونة بسرف ، فخرجت مع ابن عباس إليها ، فقال : إذا رفعتم نعشها ، فلا تزلزلوها ، ولا ترعزعوها<sup>(٢)</sup> .

وقيل : ثوفيت بمكة ، فحملت على الأعناق بأمر ابن عباس إلى سرف ، وقال : ارفقوا بها ، فإنها أمكم<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : ماتت في خلافة يزيد سنة إحدى وستين ، ولها ثمانون سنة . قلت : لم تن إلى هذا الوقت ، فقد ماتت قبل عائشة . وقد مر قول عائشة : ذهبت ميمونة . . . .

وقال خليفة : ثوفت سنة إحدى وخمسين . رضي الله تعالى عنها .

روى لها سبعة أحاديث في الصحيحين ، وانفرد لها البخاري بحديث . ومسلم بخمسة<sup>(٤)</sup> ، وجميع ما روت ثلاثة عشر حديثاً<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٣٩/٨] ، [١٤٠] ، والحاكم في المستدرک [٣١/٤] ، وصححه وأقره الذهبي .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٤٠/٨] من طريق الواقفي ، وأخرجه الحاكم في المستدرک [٣٣/٤] من طريق آخر .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [١٤٠/٨] من طريق الواقفي .

(٤) انظر البخاري : [٣٤٥/١] ، [٣٢٠] ، [٣٣١] ، [٢٧٠] ، [٣٦٤] ، [٤١٠] ، ص ١٦١/٥ ، [٤/٢٠٧] ، ومسلم [٢٩٤] ، [٣١٧] ، [٣٣٧] ، [٣٥٦] ، [٥١٣] ، [٢٧٠] ، [٩٩٩] ، [١١٢٤] .

(٥) وقال ابن شهاب : من التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وكذلك قال قتادة ، وقال : وفيها نزلت : ﴿ وَإِنَّ ثَمُودَ إِذْ وَجَّعْتَ نَفْسَآ إِلَيْنِ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] فقال ابن عبد البر ، وقول ابن شهاب

الصواب .

وروت عن النبي ﷺ ستة وسبعين حديثاً أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة عشر حديثاً والمتفق عليه =

ابن عباس ، ودخل في قبرها رضي الله تعالى عنهما وعنهن أجمعين .  
فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن ، لا خلاف في ذلك بين أهل السير  
والعلم بالأثر . وماتت خديجة وزينب بنت خزيمة منهن في حياته عليه  
الصلوة والسلام ، وتوفي عن التسع البواقي بلا خلاف ، وعن أم ولد هي  
مارية بنت شمعون القبطية أم ابنه إبراهيم .



= منها سبعة وانفرد البخاري بحديث ، مسلم بخمسة . وروى لها الجماعة<sup>(١)</sup> .  
وزوّج عنها ابن اختها عبد الله بن عباس وابن اختها الأخرى يزيد ابن شداد بن الهاد وابن اختها  
عبد الرحمن بن السائب الهلالي وابن اختها الأخرى يزيد بن الأصم ، وورثتها عبد الله الخولاني  
ومولاتها ندية ومولاها عطاء بن يسار ومولاها سليمان بن يسار وإبراهيم بن عبد الله بن معبد بن  
عباس وكريب مولى ابن عباس وعبيدة بن السباق وعبيد الله بن عتبة والعالبة بنت سبيع وغيرهم .  
وتوفيت بسرف سنة [٥١هـ]<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية سنة [٦١هـ]<sup>(٣)</sup> ، وفي رواية سنة [٣٩هـ]<sup>(٤)</sup> ، وفي  
رواية سنة [٣٨هـ]<sup>(٥)</sup> ، وقيل : سنة [٦٦هـ] ، وقيل : سنة [٦٣هـ] . وقال يعقوب بن سفيان :  
إنها توفيت سنة [٤٩هـ] . وقال ابن سعد والحاكم : توفيت ولها من العمر إحدى وثلاثون سنة .  
أعلام النساء [١٣٩/٥] .

- (١) المجتبي لابن الجوزي . وفي مطلع الأنوار : أنها روت سبعة وسبعين حديثاً ، وفي الكمال في معرفة  
الرجال : أنها روت ستة وأربعين حديثاً ، وفي مجموعة رقم [٣٢] من مخطوطات دار الكتب الظاهرية  
أنها روت تسعة وتسعين حديثاً .  
(٢) الاستيعاب ، والتذهيب ، وتهذيب التهذيب ، وأسد الغاية .  
(٣) طبقات ابن سعد وذييل تاريخ الطبري .  
(٤) مرآة الحنان والإعلام بوقيات الأعلام .  
(٥) المعارف لابن تقيّة .